وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

المتعاونون مع الغزو الأيبيري في شمال إفريقيا خلال القرن 10 هـ / 16 م

مذكرة مقدَّمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث

من إعداد الطالبتين:
بهاز نسيبة
بوبات آسية

إشراف الأستاذ:
د. بن قومار جلول

أمام اللجنة المكونة من السادة:

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د/ تريعة موسى	جامعة غرداية	رئيسا
د/ بن قومار جلول	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
د/ بن قايد عمر	جامعة غرداية	مناقشا

السنة الجامعية:
2018م / 2019م – 1439هـ / 1440هـ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)

سورة المائدة: الآية51.

الاهداء

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما، إلى من علماني معنى الحياة

إلى من كانا سندا لي "والدي العزيزان" حفظهما الله وأطال في عمرهما.

إلى أمي الثانية حفظها الله ورعاها "خالتي الزهرة"

إلى رياحيني حياتي إلى من شاركوني كل أوقاتي إخوتي:

"إلياس، أسامة، مارية، شيماء، آدم"

إلى أختاي اللتان لم تلدهما أمي "زينب، صفاء"

إلى كل أفراد عائلتي "بهاز، رسيوي"

إلى كل صديقاتي وأصدقائي

الطالبة: بهاز نسيبة.

إلى اللذين تعبا من أجل تربيتي وتعليمي إلى قوتي وملاذي

"والدي الحبيبين" حفظهما الله وأطال في عمرهما

إلى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي وشبابي أخوتي:

"نصيرة، فضيلة، إكرام، محمد، حسنى"

إلى كل أفراد عائلتي" بوبات والهادف"

إلى كل صديقاتي وأصدقائي

الطالبة: بوبات آسيا

شكر وتقدير

الحمد لله أقصى مبلغ الحمد... والشكر لله من قبل ومن بعد

نشكر الله العلي القدير ونحمده على ما هدانا ووفقنا إليه في هذا العمل

كما لا يسعنا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف "بن قومار جلول" الذي كان

خير مرشد وخير مساعد لنا والذي لم يبخل علينا بتوجهاته وإرشاداته.

ولا ننسى أن نشكر الأخ "خالد بوركادي" الذي ساعدنا في الحصول على مصادر ومراجع تخص موضوعنا

كما نشكر كل من "شيماء" و"مارية" و"زينب" لتقديمهما المساعدة في كتابة هذه المذكرة.

ونشكر كل من ساعدنا في هذا العمل من قريب أو بعيد.

قائمة المختصرات:

العربية:

الرمز	المعنى
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعريب
ج	جزء
د س ط	دون سنة الطبع
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
ط	طبعة
م	ميلادي
مج	مجلد
هـ	هجري

الفرنسية:

P	Page
T	Tome

مقدمة

- **التعريف بالموضوع:**

ظلت ولازالت الخيانة والتعاون مع العدو عبر الأزمنة والعصور من الأفعال المستهجنة والمرفوضة لدى الشعوب ويبقى أصحابها منبوذين لأنه ذنب لا يغتفر، ولا شك أن القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي ارتبط في شمال إفريقيا بالهجمة الأيبيرية على سواحله فكان للمتعاونين و"المغاطيس" كما أطلق عليهم آنذاك دور فعال في التمكين للعدو وتعزيز نفوذه وتقوية سيطرته على المنطقة. من هنا ارتأينا أن ننجز في هذا المجال باعتبار أن هذا الحديث فيه كان من الطابوهات التي لا يجوز التطرق إليها، فاخترنا أن تكون مذكرتنا موسومة ب" **المتعاونون مع الغزو الأيبيري في شمال إفريقيا خلال القرن 10هـ/ 16م**".

- **دوافع اختيار الموضوع:**

من الدوافع التي دفعتنا إلى اختيار موضوعنا هذا نذكر على السبيل المثال لا الحصر:

- التشجيع الذي قدمه لنا الأستاذ المشرف للبحث في هذا الموضوع.
- جدية الموضوع وابتعادنا عن المواضيع المستهلكة التي لا تلقى اهتماما.
- الرغبة في المساهمة بالكتابة في هذا الموضوع باعتبار أن الدراسات قليلة في هذا المجال.
- الرغبة في اكتساب تجربة البحث والتعامل مع المصادر والمراجع الجديدة.

- **الإطار الزماني والمكاني:**

- لقد حصرنا الإطار الزماني لدراستنا بالقرن العشر هجري السادس عشر ميلادي لأنه قرن حافل بالأحداث على ضفتي البحر الأبيض المتوسط.
- أما الإطار المكاني فهو شمال إفريقيا ونقصد المغرب الأقصى والجزائر وتونس.

- **إشكالية الموضوع:**

الإشكالية الأساسية التي يتمركز حولها بحثنا هي:

- من هم هؤلاء الذين تعاونوا مع الغزو الإسباني والبرتغالي خلال القرن 10هـ/ 16م؟

أما التساؤلات فرعية فهي:

- ما هي التسهيلات التي قدمها المتعاونون إلى الغزو الأيبيري لتعزيز نفوذه في المنطقة؟
- ما هي الأسباب التي دفعتهم للتعاون مع الغزو الأيبيري؟
- وكيف كانت نهاية هذا التعاون؟

- **الدراسات السابقة:**

لا توجد دراسة متخصصة في هذا الموضوع حسب علمنا سوى ما كتبته الباحثة دغموش كاميلية في رسالة الماجستير الموسومة ب: " قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509- 1792م)" والتي تطرقت فيها لقبائل بني عامر المتعاونة مع الاحتلال الإسباني في الغرب الجزائري.

والكتاب القيم الذي خصصه عبد القادر المشرفي بعنوان "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر"والذي سلط الضوء على قبائل بني عامر.

أما خلاف ذلك فوردت إشارات وتلميحات عن أولئك المتعاونون مع الغزو الأيبيري في طيات الكتب سواء في المغرب الأقصى أو الجزائر أو تونس.

- **الخطة المتبعة في الدراسة:**

اعتمدنا في انجاز مذكرتنا على الخطة التالية:

كان **الفصل الأول** بعنوان" الغزو الأيبيري في شمال إفريقيا- أسبابه ونتائجه"، وقد تناولنا فيه أسباب الغزو الأيبيري ومجرياته والنتائج المترتبة عنه.

أما **الفصل الثاني** فكان بعنوان "المتعاونون مع الغزو الأيبيري في المغرب الأقصى"، وقد تحدثنا فيه عن المتعاونون مع الغزو البرتغالي في إقليم دكالة بالمغرب الأقصى إضافة إلى المتعاون محمد المتوكل.

و**الفصل الثالث** فقد كان بعنوان "المتعاونون مع الغزو الأيبيري في الجزائر وتونس"، وتطرقنا فيه إلى القبائل والشخصيات المتعاونة مع الغزو الإسباني في الجزائر وكذلك تونس.

وفي الأخير ختمنا موضوعنا بخاتمة خصصناها لأهم النتائج المتحصل عليها بعد دراستنا لهذا الموضوع وأتبعناها بملاحق تضمنت رسائل ومعاهدات لأهم الأحداث البارزة في الموضوع.

- **المنهج المتبع:**

اتبعنا في هذه الدراسة المنهج التاريخي التحليلي وذلك لتتبع وتحليل الأحداث والوقائع التي جرت بين الأشخاص والقبائل المتعاونة مع الغزو الأيبيري وللوصول إلى النتائج المرجوة من الدراسة.

- **دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع المعتمدة:**

اعتمدنا في هذه الدراسة على جملة من المصادر والمراجع التي سلطت الضوء على موضوعنا نذكر منها:

- كتاب بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر لعبد القادر المشرفي، هو من مواليد 1895م بوهران كان مؤرخ وأديب. تناول في كتابه قبائل بني عامر المتعاونة مع الإسبان ناحية الغرب الجزائري، فقد استفدنا منه عند تطرقنا إلى القبائل المتعاونة في الجزائر.
- كتاب تاريخ الشرفاء لدييقو دي طوريس، الذي عربه محمد حجي ومحمد الأخضر، كان دييقو دي طوريس أسيرا إسباني في المغرب، خصص كتابه هذا للتحدث عن الشرفاء السعديين، ونشاطهم السياسي والعسكري، وقد استفدنا من هذا الكتاب عندما تناولنا الأحداث التي جرت بين السعديين والمتعاونون مع الغزو البرتغالي .
- كتاب إفريقيا لصاحبه مارمول كربخال، الذي عربه محمد حجي وآخرون، وقد عاصر الأحداث التي جرت في النصف الأول من القرن السادس عشر،فقد استفدنا منها عند تحدثنا عن يحي بن تعفوفت وعلاقته بالبرتغال.

- كتاب دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور وهي دراسة قيمة لأحمد بوشرب، وذلك لاعتماده على الوثائق والمصادر البرتغالية، فقد استفدنا منه في التعريف بالقبائل الدكالية المتعاونة مع الغزو البرتغالي.

- **الصعوبات المعترضة:**

لا شك أن أي عمل أكاديمي ذي شأن لا يخلو من العوائق والمصاعب نذكر منها:

- ضيق الوقت الذي لم يسمح لنا بالبحث والتدقيق أكثر في الموضوع وأجبرنا على السرعة في إنجاز الموضوع مما جعلنا نترك الكثير.
- شح المعلومات في الموضوع فهي متناثرة في طيات المصادر والمراجع مما أجبرنا على قراءة الكثير من الكتب فأخذ منا جهدا ووقتا.
- عدم الترجمة لبعض المصادر التي كتبت بالبرتغالية والإسبانية وذلك لجهلنا بهذه اللغات.
- الالتزامات العملية والعائلية التي تعيق في بعض الأحيان سيرورة العمل.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نقول العبارة المنسوبة لعماد الدين الأصفهاني: "**إني رأيت أنه من كتب أحدهم في يومه كتابا إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد ذلك لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك ذلك لكان أجمل، وهذا من أجمل العبر وهو دليل على النقص في جملة البشر**".

غارداية في: 08 جوان 2019م

الطالبتين: بهاز نسيبة، بوبات آسيا

الفصل الأول:

الغزو الأيبيري في شمال إفريقيا– أسبابه ونتائجه

المبحث الأول: أسباب الغزو الأيبيري

أولا: الأسباب الدينية.

ثانيا: الأسباب الإستراتيجية

ثالثا: الأسباب الاقتصادية

رابعا: الأسباب السياسية

المبحث الثاني: مجريات الغزو الأيبيري

أولا: الغزو البرتغالي للمغرب الأقصى

ثانيا: الغزو الإسباني للجزائر

ثالثا: الغزو الإسباني لتونس

المبحث الثالث: نتائج الغزو الأيبيري

أولا: نتائج الغزو البرتغالي

ثانيا: نتائج الغزو الإسباني

مع نهاية القرن الخامس عشر شهدت شبه الجزيرة الأيبيرية وحدة سياسية باتحاد مملكتي قشتالة والأرغون، وباتت كل من الإسبان والبرتغال تتطلع للتوسع نحو الشمال الإفريقي مستغلة بذلك التفكك السياسي بالمنطقة وتدهور الأوضاع الداخلية فبدأت بملاحقة المسلمين الفارين من الأندلس وكان وراء هذا أسباب عدة لتحيق أهدافها نذكر منها:

أولا: الأسباب الدينية

كانت حرب الاسترداد تجري على أشدها من قبل الممالك المسيحية ضد البقية الباقية من الوجود الإسلامي في الأندلس، بعد أن كانت هذه الممالك المسيحية منفصلة ومتناحرة فيما بينها لكن القوة بدأت تسري في عروق هذه الممالك عندما وضعت خلافاتها جانبا وتوحدت أمام عدوها الوحيد وهو الوجود الإسلامي[1] وخصوصا بعد زواج "**فرديناند**"[2] حاكم أرغون من الملكة"**إيزابيلا**"[3] حاكمة قشتالة يعد مولدا جديد لدولة إسبانيا الموحدة فتكونت روح صليبية جديدة [4].

فأخذت الحروب الإسبانية الصبغة الصليبية الحقيقية وذلك للدور الذي قام بأدائه رجال الكنيسة والكهنوت من أجلها، فالكنيسة قد اهتمت بجميع ما لديها بهذه المعركة ضد المغاربة، بل أن الكنيسة

---

[1] أحمد سالم: **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2011م، ص64.

[2] **فرديناد**V ferdinand (1452- 1516م): ملك الأرغون، عرف بالكاثوليكي وقضى على أخر ملوك حكموا الأندلس... ينظر منير البعلبكي: **معجم أعلام المورد موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين**، درا العلم للملايين، بيروت، 1992م، ص320.

[3] **إيزبيلا**Iisabella (1451- 1504م): ملكة قشتالة تزوجت من فرديناد الثاني ملك الأرغون عام 1469م وبذلك توحدت إسبانيا كلها... ينظر منير البعلبكي: المرجع السابق، ص80.

[4] إياد علي الهاشمي: **تاريخ أوروبا الحديث**، دار الفكر، عمان، 2010م، ص25.

قد أرادت في كثير من الأحيان اعتبار هذه المعركة معركة خاصة بها، وأن الكثير من الرهبان القساوسة قد باعوا مالديهم من أجل المشاركة في الحملة ضد السواحل الإفريقية[1].

كما أعطت هذه الحروب التي كانت ضد العرب والمسلمين للبرتغال أيضا دفعة قوية، حيث صرح "الملك يوحنا": "أن الميدان الحقيقي الذي يكسب فيه أفراد البيت المالك الفخر هو ميدان الجهاد ضد المسلمين في المغرب وأنه سيكسب أكبر وسام والذي سماه (بوسام السيد الأعظم) لمن يجاهد في هذا الميدان"، وقد كان هذا الوسام من نصيب ابنه بعد أن كان على رأس المحاربين ضد الإسلام[2]، فكانوايتطلعون إلى احتلال العام الإسلامي وإنهاء دوره نهائيا ونشر المسيحية[3].

كاد هذا التنافس على بلاد المغرب أن يؤدي إلى التصادم بين الأيبيريتين في ميدان الكشوفات الجغرافية إلى أن أبرمت معاهدة توردسيلاس في 7 يونيو 1494م على ضوء القرار الذي أبرمه البابا "اسكندر السادس" والذي ينص على تولي إسبانيا مهمة حرب الاسترداد في المناطق الواقعة شرق حجر بادس[4]، بينما يكون من نصيب البرتغال المناطق الواقعة غرب هذه المنطقة[5]،وقد جاءت هذه الاتفاقية للحد من التنافس وتحويله إلى تحالف من شأنه أن يؤدي إلى نتائج أفضل أمام الوجود الإسلامي في الشمال الإفريقي[6].

---

(1) أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين إسبانيا والجزائر 1492– 1792**، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، د س ط، ص81.

(2) شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا– تونس– الجزائر– المغرب)**، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، 1977م، ص42.

(3) أحمد سالم: المرجع السابق، ص65.

(4)**بادس**:يفترق الطريق منها إلى بلاد السودان وإلى طرابلس وإلى القيروان، عرفت باديس كمرسى لمدينة فاس ومنفذ إقليمها في البحر... ينظر: أبي عبيد البكري: **المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب**، مكتبة المثنى، بغداد، ص74، عبد الهادي التازي: **التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، مج7،الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1988م، ص296.

(5)شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص ص77، 78.

(6)أحمد سالم: المرجع السابق، ص72.

ثانيا: الأسباب الإستراتيجية:

كان البحر الأبيض المتوسط وما يزال إلى يومنا هذا يتمتع بموقعه الاستراتيجي الهام والذي يتوسط القارات الثلاث، إلى جانب انفتاحه على المحيط الأطلسي من الجهة الغربية وكانت الدول المطلة عليه تسعى لتفوز بمكانة متميزة تجعلها تنفرد بفرض هيمنتها عليه، أو على الأقل يكون لها نصيب من السيطرة على خطوط ملاحة السفن فيه أو احتلال البرية الرئيسية المطلة عليه[1]،لذلك سعى الملوك الإسبان إلى احتلال بلاد المغرب الأخرى الواقعة على الضفة الجنوبية لهذا البحر حتى تتمكن من فرض هيمنتها على جزئه الغربي، والتحكم في مدخله بالمحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق[2].

وقد كانت الأطماع البرتغالية تتركز على المغرب الأقصى لأنه يشرف على بحرين هامين يتمثلان في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي منطلق الأوروبيين إلى إفريقيا الغربية جنوبا والعالم الجديد غربا بالإضافة إلى مضيق جبل طارق الذي لا تخفى أهميته، وقد كان من الضروري السيطرة على هاتين المنطقتين للتحكم بسهولة في طريق المواصلات العالمية[3].

ثالثا: الأسباب الاقتصادية:

مما لاشك فيه أن المغرب الإسلامي كان يتوفر على خيرات قل ما توجد في أوروبا حتى عصر الكشوفات الاستعمارية، وكان التجار الأوروبيين يجوبون كثيرا أراضي بلاد المغرب وخاصة المدن الساحلية مثل مراكش وأسفي ووهران وتونس وغيرها من المدن الأخرى[4]، فقد كان البرتغاليون

---

(1) عبد القادر فكاير: **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910– 1206هـ/ 1505– 1792)**، دار هومه، الجزائر،2012م، ص33.

(2) نفسه، ص33.

(3) إلهام يوسف وولاء علي صقر: **الاحتلال البرتغالي لسواحل المغرب الأقصى (818– 996هـ/ 1415– 1587م)**، في مجلة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، سوريا، مج: 39، العدد 5، 2017م، ص412.

(4) عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص32.

يتطلعون لاحتلال المغرب للحصول على قمح مراكش وكذلك الخيول ليشتروا بهم الذهب من الزعماء الإفريقيين الذين يتعاملون مع المحطات البرتغالية، ثم يستخدمون هذا الذهب لشراء التوابل من الشرق الأقصى وقيل أيضا أن الدول الأوروبية كانت تعتقد بوجود مناجم الذهب في المغرب بسبب الثروات الضخمة المتواجدة على موانئه، فعملوا على احتلال المغرب أملا منهم بأن يصلوا إلى المناجم الذهب[1].

كما أن انهيار النظامين الاجتماعي والاقتصادي الإسلاميين في بلاد الإسبان ثم تشتت شمل المسلمين وإبعادهم من البلاد بعد أن كانوا الدعامة الأساسية لها، كل هذا قد وضع اسبانيا أمام مشكل اقتصادي رهيب، فقد تعطل الإنتاج بشكل كبير وانعدمت وسائل التصنيع وأصبحت التجارة الخارجية مشلولة ولم يبقى للمعاملات المالية والقروض أثر، فلم يعد للأسبان من سبيل لكسب المعيشة إلا ذلك النوع من اللصوصية المسلحة العدوانية التي تدعى الاستعمار والهيمنة فاندفعوا إلى غزوات ضد المسلمين لا نهاية لها[2].

كما ازدادت رغبة البرتغاليين ومن بعدهم الإسبان في كشف طريق بحري جديد يربطهم مباشرة بالهند وبلاد الشرق ليسيطروا على الطرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب، فقد كانت التجارة البحرية في العصور الوسطى تسلك عدة طرق برية وبحرية لتصل إلى الأسواق الأوروبية، وكان الحجم الأكبر لهذه التجارة يمر من مصر والشام مما زاد حقد الصليبيين على المسلمين لانتزاع الدور وضربهم اقتصاديا[3].

رابعا:الأسباب السياسية:

لقد اتجه الإسبان بعد سقوط غرناطة إلى سياسة توسعية استعمارية في إفريقيا تنطلق أولا من المناطق الساحلية ثم التوغل فيما بعد إلى الجهات الداخلية، ونافستها في هذا البرتغال رغبة منهما

(1) صالح العقاد:**المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر**، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، 1993م، ص 13.

(2) أحمد توفي المدني: المرجع السابق، ص87.

(3) أحمد سالم: المرجع السابق، ص65.

على تحقيق الأمجاد خارج القارة العتيقة[1]، وبعد التنازع الذي شهده المغرب العربي بين الدويلات الحاكمة آنذاك[2]حدث تفكك سياسي، فقد استعانت طرابلس بفاس ضد الحفصيين، وفي شرق المغرب الأوسط يستمر التنازع بين الأمراء الحفصيين من جهة وتتنازع فيما بينها إمارات بربرية صغيرة في بلاد القبائل من جهة أخرى[3]، فقد شجع هذا الوضع الدول الطامعة على هذه البلاد وبسط نفوذها عليها[4].

كذلك هجرة مسلمي الأندلس إلى شمال إفريقيا واستقرارهم في الموانئ وإسهامهم في تمويل سفن القرصنة وتشجيعها بدافع الربح من جهة وبدافع الانتقام ممن طردوهم من موطنهم من جهة أخرى[5]دفع كل من إسبانيا والبرتغال إلى ملاحقتهم للقضاء عليهم ولضمان عدم قيامهم بأي مؤامرة ضد الوجود المسيحي في شبه الجزيرة الأيبيرية[6].

ومما يجدر الإشارة إليه أن بعد هجرة المسلمين من إسبانيا كانوا يقصون إلى إخوانهم في شمال إفريقيا قصص الحروب والاضطهاد والغدر والنهب والاعتداء على حرمة المساجد فأثاروا عواطف المغاربة وطلبوا مساعدتهم لانقاد إخوانهم، كذالك الأمراء الأندلسيين الفارين من البطش كانوا يطلبون نجدة إخوانهم فبدأ سكان موانئ شما إفريقيا يشنون حربا بحرية ضد السفن والموانئ الإسبانية، كما سلح سكان الموانئ الصغيرة التي استوطن فيها المهاجرون سفن خفيفة كانت تقوم منفردة أو جماعة في

---

(1) عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص39.

(2)ينظر الملحق رقم 1.

(2) صالح العقاد:المرجع السابق، ص16.

(3) شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص35.

(4) محمد خير فارس:**تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، دار الشرق العربي، بيروت، 1969م ص16.

(5)أحمد سالم: المرجع السابق، ص 66.

أساطيل صغيرة[1] وشن غارات على سواحل إسبانيا والاتصال ببقايا المسلمين هناك وتشجيعهم على الثورة[2].

[6] محمد خير فارس: المرجع السابق، ص ص16، 17.

[7] صلاح العقاد: المرجع السابق، ص15.

المبحث الثاني:

مجريات الغزو الأيبيري في شمال إفريقيا

أولا– الغزو البرتغالي للمغرب الأقصى:

لقد أتيحت الفرصة للبرتغال للاتجاه بحرا في وقت مبكر عن الإسبان لعدم وجود عدو داخلي يشغلها كما هو الحال بالنسبة لاسبانيا فقد راودت "**هنري الملاح**"[1] فكرة لرسم خطة كاملة لحملات بحرية ليستولي على سواحل إفريقيا الشمالية[2]، فبدأ هنري في تحقيق مخططاته للاستيلاء على ميناء سبتة عام 1415م فلم تستطع الدولة المرينية بالمغرب أن تواجه هذا الخطر الداهم الذي كان في طور الاحتضار.

وبعد فتح القسطنطينية زادت عمليات الغزو للثغور المغربية، فقد دعا البابا إلى حرب صليبية جديدة ضد القوى الإسلامية، ومن الذين استجابوا لهذا النداء "ألفونس الخامس" ملك البرتغال وكان هذا الملك يعد العدة لوصوله إلى عرش البرتغال لمتابعة عمليات الغزو، وكان مما قرره هذا الملك ومستشاريه هو أن توجه الجهود أولا للاستيلاء على ميناء (القصر الصغير) الواقع بين سبتة وطنجة كتوطئة للاستيلاء على طنجة، ولقد نجحت حملته فعلا عام 1458م في مهاجمة القصر الصغير والاستيلاء عليه[3]وفي سنة 1471م تم احتلال أصيلا وطنجة[4]،بسبب تفتت الجهود على الخلافات الداخلية وانصرافها عن العدوان الداخلي[5].

---

[1]**هنري الملاح**: henry the navigator(1394- 1460) أمير برتغالي مول رحلات الاستكشاف التي أدت إلى إنشاء الإمبراطورية البرتغالية في ما وراء البحار... ينظر منير بعلبكي: المرجع السابق، ص479.

[2]شوقي عطاالله الجمل: المرجع السابق، ص ص42،43.

[3]أحمد سالم: المرجع السابق، ص69.

[4]عبد الكريم كريم: **المغرب في عهد الدولة السعدية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية**، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، المغرب، 2006م، ص29.

[5]أحمد سالم: المرجع السابق، ص 70.

فقد شهدت المغرب في هذه الفترة ضعف السلطة وعجزها عن صيانة الأمن والدفاع عن البلد وهذا ما أثر بشكل كبير في انتشار الفوضى والفتن وتجزئة المغرب إلى وحدات سياسية شبه مستقلة كما أن معظم القبائل التي كانت بالسواحل الأطلسية خاصة قد وجدت نفسها مضطرة إلى مهادنة المحتلين وإعلان بعضها الدخول تحت حماية البرتغاليين[1].

لم يتسع الغزو البرتغالي للمغرب إلا في الثلث الأخير للقرن الخامس عشر[2]وقد شملت هذه الفترة موانئ البحر الأبيض المتوسط والأطلسي على حد سواء، فبدأ الإسبان يشاركون البرتغال في هذه الحملات ويقدمون لهم المعونة ليضيقون الخناق على المسلمين، وقد امتدت أطماع البرتغال إلى المغرب الأوسط فأقاموا مؤسسة تجارية في وهران سنة 1483– 1487م وحاولوا فرض معاهدة على تلمسان[3]، وقد تعرضت سواحل المغرب الأطلسية عند مطلع القرن السادس عشر بما في ذلك سواحل السوس للحملات البرتغالية والإسبانية ولم ينتهي الصراع بينهما إلا بعد الاتفاقية توقيع معاهدة سيترا (sintra)سنة 1509م (الاتفاقية المكملة) التي جعلت هذه السواحل من نصيب البرتغال مقابل اعترافها بمشروعية التوسع الاسباني في الجزء الشرقي، فتابعت البرتغال حملاتها فاحتلت أزمور في سبتمبر 1513م[4].

وأصبحت وطأة الحكم البرتغالي في الجنوب أقوى منها في الشمال وأكثر توغلا في الداخل بمناصرتهم بعض الأمراء ورؤساء القبائل فكاد أن يمتد نفوذهم إلى مدينة مراكش نفسها1515م[5]،

---

(1) عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص16.

(2) ينظر الملحق رقم 2.

(3) صالح العقاد: المرجع السابق، ص14.

(4) عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص ص34– 42.

(5) صالح العقاد: المرجع السابق، ص14.

ولولا ازدياد نفوذ السعديين[1] والتفاف الناس حولهم ودورهم البطولي في تأييد كفاح أهالي مراكش ضد القوات الغازية، فقد كانت الأسرة الوطاسية[2] في هذه الفترة تعاني من الضعف.

بعد فشل البرتغاليين في الاستيلاء على مراكش عملوا على الاستيلاء على فاس فأقاموا قلعة في المعمورة (لمسماة اليوم المهدية) لتكون مركزا للهجوم، فقام المغاربة بشن هجوم مضاد على القلعة البرتغالية في المعمورة وأسفر هذا الهجوم عن قتل أكثر من أربعة آلاف من البرتغاليين وإغراق ثماني سفن بحرية برتغالية [3].

ويعتبر الكتاب البرتغاليين أن هذه الأحداث كانت نذيرا بانحصار موجة التوسع البرتغالي في المغرب ويعتبرون عصر "جيان الثالث" عصر تصفية النفوذ البرتغالي في المغرب (1521- 1557م) فقد عمل الحكام السعديين بعد وصولهم الحكم على صد الأطماع البرتغالية في المغرب بعكس ما كان عليه الحكام الوطاسيون الذين وصلوا لدرجة كبيرة من الضعف[4].

لقد أحدث هذا الاحتلال للسواحل المغربية رد فعل قوي إذ ظهرت حركات تدعو إلى حمل السلاح والتقدم لتحرير الأراضي المغتصبة بعدما كان من المتوقع أن يكون خلاص المغرب على يد الوطاسيين الذين حاولوا الظهور في بادئ الأمر بمظهر المدافع عن وحدة البلاد وسلامتها[5]، فبدأت التصفية البرتغالية من الثغور المغربية وسقط ميناء سنتاكروز في عهد "محمد الشيخ

---

[1] **السعديون:** أصل سلفهم وفد عل المغرب من الينبوع وأنهم أبناء عم السادات الأشراف أهل سجلماسة(الوطاسيين) وأن نسبهم أصح شرف أهل المغرب لأن أصلهم من شرفاء الينبوع... ينظر: محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: **نزهة الحادي بأخبار ملوك الحادي**، مطبعة بردين، المغرب، 1888م، ص ص5، 6.

[2] **الوطاسيون:** أصلهم من القبائل الصنهاجية، وأصل دخولهم لبني مرين، أنهم لما غلبهم الموحدون خرج جدهم فارا من تلمسان إلى أحياء بني مرين فاستجار بهم بأجروه، واستوطنوا بلاده... ينظر: مجهول: **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، محمد بن = أبي شنب بالمدرسة الثعالبية، الجزائر، 1960، ص19، إبراهيم حركات: : **المغرب عبر التاريخ**، المجلد الثاني، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1978م، ص194.

[3] شوقي عطاالله الجمل: المرجع السابق، ص ص61، 62.

[4] نفسه: ص 63.

[5] عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص33.

السعدي"[1]1541م فكان ضربة قاضية للوجود البرتغالي في السواحل المغربية وتم إخلاء القصر الصغير وأصيلا في سنتي 1549-1550م[2].

بعد تولى"محمد عبد الله الغالب"[3] الحكم (1557-1574م) لم يقم بأي رد فعلي يذكر ضد البرتغال الذين ظلوا مستقرين ببعض المراكز، وبعد انتزاع"عبد الملك"الملك من "عبد الله محمد المتوكل"[4]الذي استغاث بالدون "سبستيان"[5] ملك البرتغال الذي كان متحمسا لغزو المغرب فتحركت الجيوش المسيحية (لأنها تضم كذلك متطوعين من الإسبان والفرنسيين والإيطاليين وغيرهم).

في يوم 4 أوت 1578م التقى الجيشان في وادي المخازن[6]بقرب مدينة القصر الكبير[7]حيث الكبير[7]حيث دارت معركة حاسمة سحق فيها الجيش البرتغالي،وكانت هذه المعركة فاصلة حيث أعطت للبرتغاليين درسا فأخذوا ينسحبون من المواقع التي استولوا عليها بشواطئ المحيط وأحيانا

---

[1] **محمد الشيخ**: (1539- 1556م) ولد محمد المهدي سنة 1488م، وكان يعرف بالشيخ أو بأمغاز، تلقى محمد الشيخ العلوم بسوس وفاس، كان محمد المهدي أخو أبي العباس فقد كان يباشر شؤون فاس في غيبة أخيه إلى أن دب النزاع بينهما وتحول إلى حرب حقيقية انتهتبانتصاره... ينظر: عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص ص277، 278.

[2] شوقي عطاالله الجمل: المرجع السابق، ص69.

[3] **محمد عبد الله الغالب**: ولد بتارودانت بويع بعد وفاة أبيه سنة 1557م في فاس ثم واتته البيعة في مراكش، وقد كانت لعبد الله الغالب عدة مشاريع في فترة حكمه منها تشييد جامع الأشراف بمراكش... ينظر: عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص 285، شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص ص173، 174.

[4] **عبد الله محمد المتوكل**: كان قد ولاه أبوه عهده، وبعد موت والده بويع بفاس أولا ثم بمراكش، وهو ابن أمة وكان من أنبغ السعديين ثقافة، عرف بالمسلوخ لأن المنصور أمر بسلخ جلده وحشوه بعد موته... ينظر: عبد الكريم كريم : المرجع السابق، ص290.

[5] **دون سبستيان**: ابن الملك جان الثالث تولى عرش لشبونة سنة 1562م وكان يراود خياله استعادة الأمجاد البرتغالية في الغرب بعد الهزائم التي نالوها منذ قيام دولة السعديين وقد ظل هذا الملك يعمل في الخفاء ويبحث عن الفرص إلى أن وقع خلاف بين المتوكل وعمه المعتصم فاغتنم هذه الفرصة... ينظر: عبد العزيز الفشتالي: **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تح: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، المغرب، د س ط، ص26.

إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص ص 289،293.[6]

[7]**القصر الكبير**: معناها باللغة العربية القصر العظيم أسسها رابع ملوك الموحدين (يعقوب المنصور)، وسميت هكذا لتمييزها عن القصر الصغير... مارمول كربخال: **إفريقيا**، ج2، تر: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، المغرب، 1989م، ص ص190، 191.

يتركونها لجيرانهم الإسبان[1](طنجة، سبتة، مزكان)، وكانت هذه المعركة آخر الحملات البرتغالية على المغرب[2].

ثانيا– الغزو الإسباني للجزائر:

ازدادت رغبة الإسبان في شمال إفريقيا بعد قضائهم على النفوذ الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية فبدؤوا رحلتهم في تنصير المسلمين الذين سقطوا في أيديهم وحاولوا القضاء عليهم بعد أن كانوا دائمي الاستغاثة بإخوانهم في المغرب العربي بعد أن حل بهم طور العذاب على أيدي الإسبان، وقد كان الفارين منهم يذهبون إلى دول المغرب ليذروا بقية حياتهم للجهاد ضد الإسبان والانتقام منهم[3].

كان الإسبان آنذاك يحتلون سبتة ومليلة لكن بعد معاهدة توردسيلاس اتجهوا إلى شرقا إلى ساحل الجزائر حتى طرابلس وكانت الملكة "إيزابيلا" من أشد المتحمسين لحرب الاسترداد، ولقد تركت "إيزابيلا" وصية في1504م التي قالت فيها (... إنني أرجو من الأميرة ابنتي والأمير زوجها وآمرهما بطاعة أوامر الكنيسة الأم المقدسة فعليكما أن تقوما بحمايتها وألا تكفا عن متابعة فتح إفريقيا ومحاربة الكفار[4].

قام الإسبانيون بأول محاولة لتنفيذ وصية إيزابيلا في 1505م واختير ميناء المرسى الكبير لنزول أولى الحملات الإسبانية[5]، فقد توجه الأسطول إليه في 29 أوت 1505م وعند وصوله لم تكن هناك إلا حامية صغيرة تستطيع صد الجنود عن النزول إلى البر، فقام رجال الحامية بدورهم في المقاومة ونشبت بينهم معركة استمرت لمدة ثلاثة أيام متواصلة استشهد في فيها قائد الحامية فاحتل الإسبان

---

(1) شوقي ضيف: **عصر الدول والإمارات الجزائر– المغرب الأقصى– موريتانيا– السودان**، دار المعارف، القاهرة، د س ط، ص ص292، 293.

(2) شوقي عطاالله الجمل: الرجع السابق، ص 76.

(3) أحمد سالم: المرجع السابق، ص72.

(4) صالح عقاد: المرجع السابق، ص15.

(5) نفسه: ص 16.

القلعة وتحصنوا بها[1] وملكوا المرسى واستقروا به[2]، وكان التسيير للمرسى من الطرف الاحتلال الإسباني في البداية سيئا وقد جعل من الجهود المبذولة للاحتلال عديمة الجدوى[3].

في سنة 1508م نجح "فرناند" في الاستيلاء على حجر بادس لموقعه الإستراتيجي على سواحل المغرب، وتابع الإسبان حملاتهم فأرسلوا حملة ضخمة في 1509م لمهاجمة وهران ذاتها فسيطروا عليها وباشروا بالقتل وذبح الأهالي وأصبحت وهران مركزا للنشاط الإسباني في شمال إفريقيا[4]،وفي جانفي 1510م تولى "بيدرونافارو" الهجوم على مدينة بجاية، بالأسطول يتكون من حوالي 20 سفينة حربية وعلى متنها عشرة ألاف جندي الذين كانوا مزودون بالسلاح والمدافع والآلات الضخمة ووصل الأسطول إلى المدينة يوم 5 جانفي[5].

تعرضت مدينة بجاية إلى السلب والنهب واتخذوها نقطة هامة للسيطرة وإنشاء مركزا لقيادتهم من أجل الصراع والقضاء على الجزائر[6]، وواصل الإسبان بالاستيلاء على عنابة وشرشال ومستغانم وغيرها من المدن الساحلية دون تدخل سلاطين بني زيان للحد من هذا الخطر[7]، وهكذا أصبحت إسبانيا في فترة قصيرة تسيطر على معظم مناطق الرئيسية[8]، ولما علم سكان مدينة الجزائر بهذا الخطر الخطر اضطّر "سالم التومي" بعقد معاهدة ولاء وصلح مع بيدرونافاروا فقد عقدوا وثيقة استسلام تنص على إطلاق سراح المسيحيين، وتسليمهم إحدى الجزر المرتفعة والسماح لهم بإنشاء حصن

---

(1) أحمد توفيق المدني: ص ص96،97.

(2) محمد بن يوسف الزياني: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تح: الشيخ المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، ص187

(3) DeGrammont H.D:**histoire d'Alger sous la domination turque (1515- 1830),** Paris, 1887, P17.

(4) أحمد سالم: المرجع السابق، ص73.

(5) أحمد التوفيق المدني: المرجع السابق، ص12.

(6) شوقي عطاالله الجمل: ص83.

(7) أحمد سالم: الرجع السابق،ص74.

(8) يحي جلال: المرجع السابق، ص61.

البنيون لإتحاده مركزا لقيادتهم[1] مما أدى إلى معاناة الأهالي واستنجادهم بعروج وطلب المساعدة منه[2]، وبعد الاستجابة للنداء باشر في الجهاد مع الأتراك وقبائل المدن بالقصف المدفعي إلا أنه فقد ذراعه الأيسر وبعد ذلك أوقف العمليات متوجها إلى تونس للعلاج[3].

عند عودة عروج من تونس قام بالهجوم على جيجل وتخليصها لكي يتخدها نقطة هامة ومركزا نحو مدينة بجاية وجمع فيها سلاحه ورجاله المجاهدين، وهكذا فتح مدينة جيجل وبويع أميرا على جيجل[4]، وفي سنة1514م قام بالهجوم على مدينة بجاية متحالفا مع "ابن القاضي" فقد حاصروا المدينة، وقد دام هذا الحصار ثلاثة أشهر وبعد محاولات عدّة لم يستطيعوا تحطيم الحصن فطلب عروج المساعدة من "الحسن الحفصي" في تونس لكنه لم يمدده بأي مساعدة وللأسف فشلت المعركة[5].

في سنة 1516ماستعدت الإسبان لشن حملة على الجزائر ومحاصرتها ، فجهزا عروج الأهالي والمهاجرين الأندلسيين لتصدي لهذه الحملة فانتصروا بهجومهم القوي على العدو الاسباني[6]، وفي سنة 1519م هاجم الإسبان مدينة الجزائر وانتهت المعركة بانتصار خير الدين وهزيمة الإسبان[7]، وتوالت الهجمات الإسبانية على الجزائر، ففي سنة 1531م قام "أندريا دوريا" بهجوم على مدينة شرشال بعدة تتكون من حوالي 20 سفينة ومدافع فاصطدم الطرفان وانتهتالمعركة بهزيمة الإسبان[8].

---

(1) شوقي عطاالله الجمل: المرجع السابق، ص84.

(2)عزيزألتر سامح: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م،ص50.

(3) صالح عباد: المرجع السابق، ص44.

(4) أحمد توفيق المدني: ص 165- 168.

(5) صالح عباد: المرجع السابق،ص45.

(6) عزيز ألتر سامح: المرجع السابق، ص 56.

(7) نفسه، ص205- 207.

(8) صالح عباد: المرجع السابق، ص53.

بعد هذا الانتصار الذي حققه الأتراك جهز "شارلكان"[1]حملة سنة 1541م وفشلت الحملة وانتهت بهزيمة نكراء للإسبان[2] وفي سنة 1547م قام "دالكودينت" بهجوم على مدينة مستغانم فواجهه حسن حسن باشا وانتهت المعركة بهزيمة الإسبان وقرر رفع الحصار والرجوع إلى مدينة وهران[3].

وكرد فعل للهجومات الإسبانية قام العثمانيونبفتح مدينة بجاية بعد عشرة أيام من الحصار والقصف سنة 1555م ، وفي سنة 1565م قام حسن باشا بحملة ضد مالطةللاستيلاء عليها والقضاء على القديس يوحنا إلا أنها باءت بالفشل وانهزم الأسطول العثماني[4]،وهكذا عرفت الجزائر العثمانية طيلة القرن السادس عشرات الحروب المستمرة والاضطرابات مما ترتب عن هذا الغزو من تدهور في حالة الاقتصادية والسياسية.

ثالثا– الاحتلال الاسباني لتونس:

شهدت تونس في عهد "الحسن الحفصي" حالة من الضعف والصراع بين أفراد الأسرة الحفصية، فقد قام هذا الأخير بقتل إخوته والقضاء عليهم ولم ينج منهم سوى أخوه الرشيد الذي ستنجد من خير الدين بربروس[5]، وفي شهر أوت 1533ماستعد خير الدين وحضر حملة وجمع جيشه وتقدم به نحوا بنزرت برا وحلق الوادي بحرا، فتمكن من السيطرة على تونس بسهولة وفرّ

---

[1]**شارلكان**: هو شارل الخامس charles v ملك إسبانيا (1516– 1556م) يعتبر أحد أعظم ملوك إسبانيا، في عهده اتسعت رقعة إمبراطورية في أوروبا، تخلى عن العرش 1556م... ينظر منير بعلبكي: المرجع السابق، ص255.

[2] محمد خير فارس: المغرب في تاريخ الحديث، 36، 37

[3] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق،ص323.

[4]عبد الحميد بن أبي زيان بن شنهوا:**دخول الأتراك العثمانيين للجزائر**، مكتبة جواد سامي، الجزائر، 1972م، ص ص209– 211.

[5] صالح عباد: المرجع السابق،ص51.

حاكمها الحسن الحفصي مستنجدا "بشارلكان"[1] وأعلن خير الدين تبعيتها للدولة العثمانية سنة 1534م وأنهى الحكم الحفصي بها[2].

وفي 31ماي1535م جهز "شارلكان" حملة صليبية على تونس قادها بنفسه وعين "أندريا دوريا" كمساعد له، ورغم المقاومة والهجوم والقصف المدفعي إلا أن الإسبان استولوا على حلق الوادي ولم يتمكن خير الدين وجنوده من المقاومة فانسحبوا[3]،ودخلها الجنود الإسبان وسلبوا ونهبوا المدينة ونصب شارلكان الحسن الحفصي على كرسي العرش وأبرم الطرفان معاهدة في 1535م وأهم ماجاء فيها السماح للإسبان الإقامة في جميع أنحاء القطر وتنازل لهم على الحلق الوادي وبنزرت[4]، وبعد عودة الحسن الحفصي لحكم تونس سادت الفوضى ولم يدم بقاء الحسن على كرسي العرش رغم الدعم الإسباني له ذلك لأن إبنه أحمد "سلطان(حميدة)" ألحق به هزيمة سنة 1542مواستولى على تونس، وأمضى هو الآخر معاهدات عديدة مع الإسبان[5].

وفي سنة 1560ماستعدا"العلج علي"لحملة ضد مولاي حميدة وإسقاطه من الحكم، وكان النصر حليفه فدخل تونس دون أي مقاومة[6]، وفي سنة 1573ماستولى عليها من جديد بقيادة "دون خوان النمساوي"[7] بعدما اغتنموا فرصة خسارة العثمانيون في معركة ليبانت إلا أن الجيش

---

[1] أحمد توفيق مدني: المرجع السابق، ص230.

[2] أحمد السالم: المرجع السابق، ص124.

[3] عزيز ألتر سامح: المرجع السابق،ص 115- 117.

[4] شوقي عطاالله الجمل: المرجع السابق، ص86- 87.

[5] صالح عباد: المرجع السابق، ص92.

[6] نفسه، ص93.

[7] **دون خوان النمساوي:** ابن شارل كوينت وأخ فليب الثاني من الأب، لعب دورا هاما في القضاء على ثورة البشارات في الأندلس تم تعيينه كقائد للأسطول المسيحي... ينظر: نجيب دكاني: **الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2002/2001م، ص133.

العثماني حقق نصرا بقيادة "سنان باشا" والقضاء نهائيا على الحكم الإسباني الحفصي وضم تونس للدولة العثمانية1574م[1].

كما شهدت طرابلس الغرب منذ بداية القرن السادس عشر حالة الفوضى سياسية المضطربة فقد كانت تابعة سلطتها المركزية للسلطان الحفصي في تونس، فطمع فيها الإسبان لموقعها الإستراتيجي[2]، وبعد الانتصارات التي كان تتمتع بها الإسبان في احتلال مدينتي وهران وبجاية قام "بيدروانافاروا" بغزو مدينة طرابلس سنة 1510م فاستعد وجهز أسطولا قويا ودخل به الميناء وقصف المدينة وانتهت المعركة باحتلال طرابلس وكان هدفها تلاستيلاء على ثروتها[3]، وبعد هذا النصر سمعت سمعت أوروبا المسيحية بهذا باحتلال "بيدروانافاروا" لمدينة طرابلس فقرر الملك الكاثوليكي قيادة حملات تهدف إلى توسيع رقعة انتصاراته[4]إلا أن المقاومون العرب استعدوا لهذه الحملة للدفاع عن أرضهم مما أدى لتخوف "بيدروانافاروا" ولم تنجح هذه الحملة[5].

وفي سنة 1525م شهدت البلاد انتشار وباء الطاعون الذي عانوا منه[6]، فوقع الإمبراطور "شارل الخامس"14 مارس 1530م معاهدة تنص على التنازل عن طرابلس لفرسان "القديس يوحنا[7]"[8] حيث كان منشغلا مع حروبه وماتعرض له من خسائر وفشل ومشغولا بمباحثاته

---

[1] محمد الهادي الشريف:**تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تع: محمد الشاوش، محمد عجينة ، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص66.

[2] أحمد سالم: المرجع السابق، ص130.

[3] شارل فيروا:**الحوليات الليبية، من الفتح العربي حتى الغزو الايطالي**، ط3، تح: محمد عبد الكريم الوافي، جامعة قازيونس، ليبيا، 1993م، ص ص73- 77.

[4] إثوري روسي: **ليبيا من الفتح العربي حتى سنة 1911**، الدار العربية للكتاب، مصر، 1974م، ص 175.

[5] عمر الباروني: **الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، مطبعة ماجي، طرابلس، 1952م، ص ص50- 56.

[6] نفسه، ص66.

[7] **فرسان القديس يوحنا:** بدأت هذه المؤسسة كمنظمة خيرية دينية، وبعد الحروب الصليبية تحولت إلى منظمة عسكرية، وعندما انتصر صلاح الدين الأيوبي طردهم من القدس فانتقلوا إلى عكة بفلسطين حيث طردوا منها وليتقلوا بعدها إلى جزيرة رودس، فأسسوا مملكوة مسيحية تحت رعاية البابا وحماية الملوك المسحيين... ينظر: عمر الباروني، ص75.

[8] إيثوري روسي: المصدر السابق، ص192.

بخصوص تنصيبه إمبراطورا لألمانيا وهكذا فلم يعد يتجه بأنظاره لسواحل إفريقية الشمالية، ولهذا عجل بتخلصه من طرابلس[1].

[1] شارل فيروا: المصدر السابق، ص86.

المبحث الثالث:

نتائج الغزو الأيبيري في شمال إفريقيا.

أولا: نتائج الغزو البرتغالي:

– من الناحية الايجابية فقد أدى الغزو البرتغالي إلى إثارة المشاعر الدينية والوطنية لدى المغاربة وذلك بظهور قيادات دينية ووطنية أبرزها الأشراف السعديين الذين نجحوا بالوصول للسلطة[1] بعدما تزعموا حركات دينية تحث عن الدين والجهاد لتحرير الوطن وتوحيد أجزاءه[2]،فقد أنقد السعديون المغرب من الخطر البرتغالي الذي كان مهددا لكيان المغرب كدولة مستقلة[3].

– أدى هذا الانتصار الذي ناله الأشراف إلى الحصول على منزلة مرموقة في المغرب[4].

–معركة وادي المخازن التي خاضها السعديون ضد البرتغال جعلت الملوك الأوروبيون ينظرون للمغرب كدولة كبرى يسعون لكسب ودها ويحسبون لها حسابا في خططهم الدبلوماسية، كما حطمت هذه الحرب[5] البرتغال وجعلتها فريسة سهلة أمام فليب الثاني ملك البرتغال الذي نجح في ضمها بعد عامين في 1580م.

– كان للغزو البرتغالي جوانب سلبية على المغرب منها تعاظم الأزمة الاقتصادية في المغرب فقد عمل البرتغاليين على الحصول على الحبوب المغربية بشتى الوسائل: شراءها، استخلاصها على شكل ضرائب أو عن طريق النهب، و حتى يتسنى بيع القمح كان البرتغاليون هم من يتحكمون بالسعر[6]

---

(1) محمود علي عامر ومحمود خير فارس: المرجع السابق، ص22.

(2)عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص33.

(3) أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص ص 325، 326.

(4)مارمولكربخال: **إفريقيا**، ج1، تر: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1984م، ص460.

(5)محمود علي عامر ومحمود خير فارس: المرجع السابق، ص55.

(6)نفسه، ص22.

– كما استفادت البرتغال من كميات كبيرة من الذهب والفضة بسواحل غرب إفريقيا[1].

– أما في المجال الزراعي فقد أصبح مضطربا مما أضعف من نشاطه فكان من العسير على الفلاح أن يتعهد أرضه في جو تسوده الفتن والفوضى[2].

ثانيا: نتائج الغزو الإسباني.

– لقد عمل الغزو الإسباني على تقوية روح التضامن الإسلامي ورفع الروح الدينية للدولة العثمانية وللولاء لها على حساب الوحدات السياسية الصغيرة لتوقيف المد الأيبيري، وذلك بفضل الدور الجهادي العظيم الذي قام به العثمانيون[3].

– هروب سكان المناطق المستهدفة من الإسبان والتنقل نحو المناطق الداخلية الآمنة مما أدى إلى إخلاء المدن وسطو الإسبان على ممتلكات السكان إضافة إلى قطعان المواشي، فمثلا قد استولوا على أكثر من تسعة آلاف من البقر والجياد عند هجومهم على مدينة الجزائر سنة 1518م[4].

– الخسائر البشرية التي ترتبت عن الاعتداءات الإسبانية على الجزائر خلال الحملات التي كان يقوم بها الجنود الإسبان انطلاقا من المواقع الساحلية التي احتلوها خاصة في الجهة الغربية من البلاد[5].

– التحطيم والخراب للعديد من القصور والفنون المعمارية كقصر اللؤلؤة الذي يعتبر من أبدع النماذج المعمارية الجزائرية ببجاية وهدموا الكثير من المساجد[6].

---

(1) إياد علي هاشمي: المرجع السابق، ص41.

(2) عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص13.

(3) أحمد سالم: المرجع السابق، ص 75.

(4) عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص 277- 281.

(5) نفسه: ص 289.

(6) شوقي عطاالله الجمل، الملرجع السابق، ص 81- 83.

– تعرض الكثير من الأهالي إلى القتل والسلب والتشتت في مختلف المواجهات والصراعات الإسلامية المسيحية[1].

– شهدت الجزائر طيلة القرن السادس عشر تدهور في الحياة السياسية[2].

– بالإضافة أيضا تدهور في الحالة الاجتماعية والثقافية، فقد كان الغزو الإسباني سببا في انحطاط المستوى الحضاري والثقافي لدى الشعوب، فقد هاجر العديد من العلماء والعائلات الجزائرية إلى المغرب الأقصى[3].

– تفشي مرض الطاعون بالمدن الساحلية بسبب تنقل الناس من منطقة إلى أخرى وكانت وهران من بين المدن التي تعرضت لهذا الوباء في سنة 1558م، وقد خلف العديد من الضحايا من النساء والأطفال وانتقلت العدوى إلى ضواحي المدينة فأصابت العديد من قبائل البدو التي كانت تقطن قرب وهران[4].

– وقوع عدد كبير من الأسرى الجزائريين في أيدي الإسبان فمثلا في احتلال مدينة وهران 1509م وقع في الأسر ثمانية ألف شخص[5].

– إطلاق سراح الأسرى المسيحيين الموجودين في تونس وفرض الضرائب.

– الدمار الذي تسبب فيه الإسبانيون بكل الوسائل الوحشية في حق التونسيين من قتل وسلب والنهب وتحطيم المدارس والمساجد كجامع الزيتونة الذي كان رمزا للعلم الذي اتخذوه إسطبلا

---

[1] عبد القادر فكاير: المرجع السابق،ص357.

[2] جلال يحي: المرجع السابق، ص62.

[3] عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص371.

[4] نفسه، ص286.

[5] نفسه، ص312.

لخيولهم[1] وأتلفوا مابه من نفائس الكتب و حملوا بعضها إلى روما حيث أهدوها إلى كنيسة الفاتيكان[2].

– أما في طرابلس فقد نهب الإسبان المدينة وهجروا أهاليها حتى عمها الخراب والدمار فهجرها التجار، ومما زاد من خراب المدينة محاولة الإسبان إقامة أسوار جديدة على أنقاض الأسوار القديمة ومنازل السكان فتعرضت المدينة إلى تبديل أجزاء مهمة في هيكلة المدينة ومعالمها[3].

– كما عمليات السيطرة وحملات التي قامت بها كل من البرتغاليين والإسبانيين في سلب العالم الإسلامي تجارته أضعفته اقتصاديا[4]، فقد كانت تتدفق عليهما المحصولات وبأسعار زهيدة مما أدى إلى رخاء اقتصادي في كل من إسبانيا والبرتغال[5].

وبهذا يمكن القول أنه قد كان لسقوط الأندلس الأثر البالغ في تحرك الغزو الأيبيري نحو السواحل المغاربية، فقد عملوا على مطاردة المسلمين الفارين من الأندلس والهدف من هذا كله هو الهيمنة والسيطرة على سواحلها،فتستروا وراء الدوافع الدينية للوصول إلى أهدفهم.

---

(1) عزيز سامح إلتر:المرجع السابق، ص119.

(2) شوقي عطاالله الجمل: المرجع السابق، ص88.

(3) محمود علي عامر ومحمود خير فارس: المرجع السابق، ص150.

(4) جلال يحي:**تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د س ط، ص63.

(5) إياد علي الهاشمي: المرجع السابق، ص42.

الفصل الثاني: المتعاونون مع الغزو الأيبيري في المغرب الأقصى

المبحث الأول: المتعاونون مع الغزو الأيبيري في إقليم دكالة

أولا: يحي بن تعفوفت

ثانيا: بعض القبائل الدكالية

ثالثا: اليهود

المبحث الثاني: محمد المتوكل

أولا: نزاع محمد المتوكل مع عميه

ثانيا: رسالة محمد المتوكل إلى العلماء المغاربة

ثالثا: معركة وادي المخازن

تعرضت سواحل المغرب الأقصى للغزو البرتغالي نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر وذلك بسبب تدهور الأوضاع الداخلية وعدم الاستقرار السياسي الذي شهدته البلاد من تنازع بين الأسرة الوطاسية والأسرة السعدية حول السلطة، فخلق هذا النزاع فراغ سياسي جعل بعض الشخصيات وبعض القبائل تدخل تحت لواء السلطة البرتغالية لتتعاون بعد ذلك معهم مقدمة لهم خدمات خلية ساعدتهم للتوغل أكثر في البلاد، نذكر منهم:

أولا: يحي بن تعفوفت:

بعد الاستيلاء على ثغور المغرب الشمالية من قبل البرتغاليين، اتجهت أنظارهم إلى الجنوب[1] خاصة إلى دكالة[2] ومجاورها، حيث شجعهم ذلك الفوضى التي كانت تضرب المنطقة، وعدم وجود أي سلطة قوية بها، وتطبيقا لخطة احتلال البلاد الجنوبية أخذ البرتغاليون يمهدون لذلك بخلق العملاء ومن يمكن التعاون معهم من المشايخ والحكام المحليين[3]، فبعد اعتراف آسفي[4] بسلطة التاج البرتغالي في 28 غشت 1481م، استغلت أسرة بني فرحون أغنى الأسر في المدينة الفرصة للوصول إلى الحكم 1488م حيث تم تقليد "أحمد بن علي" السلطة بالمدينة[5].

وفي 1498م قررت الحكومة البرتغالية أن تعوض "أحمد بن علي" بإبن أخيه "عبد الرحمان" ليتقلد السلطة بسبب تقدم عمه في السن، وفي 1500م أصبحت آسفي خاضعة له بعد أن نشر الأمن في المدينة واحتفظ برئاستها لمدة طويلة، وكان لهذا الرجل بنت فائقة الجمال أحبت رجلا من

---

(1) ليلى النحايلة: **يهود آسفي خلال القرن 16م**، مطابع الرباط، المغرب، 2015م ، ص22.

(2) **إقليم دكالة**: يبدأ هذا الإقليم من جهة الغرب عند نهر تنسيفت على حدود حاحا ويمتد نحو الشمال حتى المحيط، يقع إقليم مراكش في جنوبه ونهر الربيع في شرقه، ... ينظر: مارمول كربخال: المصدر السابق، ص70.

(3) عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص42.

(4) **آسفي**: تقع على شاطئ المحيط في طرف إقليم دكالة ولها أسوار متينة عليها سبعة وثمانون برجا... ينظر: مارمول كربخال: المصدر السابق، ص71.

(5) ليلى النحايلة: المرجع السابق، ص24.

العامة كان رئيسا لعصابة يدعى "علي بن وشمين"[1] وفي حادثة تقول أنه اعتدى عليها، ولما بلغ "عبد الرحمان" الخبر عزم على أن يثأر منه، لكن الأم والبنت فطنتا لذلك وأخبرتا "علي بن وشمين"، فعزم على أن يسبقه واتفق مع أحد أصدقائه يدعى "يحي بن تعفوفت" على تنفيذ المشروع.

في هذه الأثناء كان عبد الرحمان يفكر في الانتقام فأرسل إلى علي في يوم عيد أن يأتي إلى المسجد ومنه يذهبان إلى التفسح فأخذ علي معه يحي ومعهم عشرة شبان[2]، وذهبوا للمسجد وقتلوا "عبد الرحمان" وخرجوا للساحة وأقنعوا الناس أنهم قتلوا "عبد الرحمان" دفاعا عن أنفسهم.

سكنت روعة الناس ورضوا أن تكو الإمارة على يد هذين الرجلين (علي بن وشمين ويحي بن تعفوفت)[3]، واقتسما السلطة إلى أن كثر المعارضون فأرسل "علي بن وشمين" إلى القبطان البرتغالي "دييغو أزامبوجا" الذي استطاع إقناعه بمصاحبته إلى أسفي لكي لا تخرج المدينة من يد البرتغال، ولما وصلوا وجدوا حرب أهلية مشتعلة فتطلب الأمر طلب العون من العسكري من الملك وهكذا ذهب "علي بن وشمين" و"دييغو أزامبوجا" وبعض أعيان آسفي، ولما عادوا عادوا مصحوبين بأسطول[4] وقد وقع اتفاق على أن علي ويحي سيهبون للبرتغاليين دار تستعمل لحساب التجار المسيحيين وأحد الأبراج الرئيسية لأمنهم، فصرف "دييغو أزامبوجا" "علي بن وشمين" لتنفيذ وعده، لكن سرعان ما صرفه عن ذلك الفقهاء الذين أفادوه بأنه أحسن للمغاربة أن يقتتلوا على أن يطيعوا البرتغاليين، ولما رأى البرتغاليون أن علي بدأ يندم عملوا على بث الريبة بينه وبين يحي، وحمل كل منها الظن على أن الآخر يريد قتله[5].

---

[1] حسن بن محمد الوزان الفاسي: **وصف إفريقيا**، تر: محمد الحاجي، محمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م، ص148.

[2] مارمول كربخال: المصدر السابق، ص72.

[3] حسن بن محمد الوزان الفاسي: المرجع السابق، ص149.

[4] أحمد بوشرب: **دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور**، دار الثقافة، المغرب، 1984م، ص189.

[5] مارمول كربخال: المصدر السابق، ص73.

كان "علي بن وشمين" و"يحي بن تعفوفت" يقدمان اقتراحات هامة للبرتغاليين حتى يستعين كل منهما ضد خصمه فساعداهم على الدخول إلى المدينة مع خمسين جنديا، ومن أجل هذا منحاهم منزلا كبيرا يطل على البحر[1]، وفي 1508م إستطاع "يحي بن تعفوفت" أن يذهب إلى ملك البرتغال ويعرض تبعيته للملك "إمانوئيل الأول" مقابل مساعدته فبعث معه "فيرناندیس نونيو دي أطايدي" كحاكم وقائد عام[2] بقوة برتغالية حمولتها أربعة سفن حربية لتدعيم نفوذ البرتغال بآسفي وتأييد السلطات الموالية لهم بها وإسكات أصوات المعارضين للوجود الأجنبي بالميناء، فبعد وصولهم استطاعوا بناء دار تحفظ للبرتغال بضاعتهم ويأوي إليها التجار بعدما سمح لهم حاكم آسفي بإقامتها باعتبارها دورا للتجار لكنها كانت قلعة حربية، ولم يكن حكام آسفي على علم بخطتهم حتى تجمعت للبرتغال قوة[3] مكونة من أسطول مجهز بجميع أنواع الأسلحة وقطع المدافع الصغيرة وخمسة آلاف من الجنود المشاة ومائتان من الفرسان، لذلك تملك المغاربة الرعب وتركوا المدينة ملتجئين إلى جبال بني ماجر[4] وسلم لهم الميناء، وقد عامل البرتغال أهل أسفي أسوء معاملة، وأهانوا المعالم الدينية، وسفكوا الدماء ونهبوا الأموال وهدموا الدور[5].

بما أن "يحي بن تعففت" كان حاكما على آسفي، فإن "دييغو" كلم سرا علي بن وشمان أخبره أنه يريد تسليمه سلطة المدينة مقابل الهجوم بصحبة أنصاره على دار "يحي بن تعففت" وقتله، وفعلا استدعى علي بن وشمان قبيلة بني ماكر[6] التي دخلت المدينة ونهبت منازل أنصار "يحي بن تعفوفت" تعفوفت" الذي لم ينجه إلا الفرار إلى[7] منزل أحد المسيحيين الذين كان يجهل أنهم شركاء في المؤامرة

---

(1) مارمول كربخال: المصدر السابق،، ص73.

(2) ديقودي طوريس: **تاريخ الشرفاء**، تر: محمد الحجي ومحمد الأخضر، المدارس، المغرب، 1989م، ص16.

(3) محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص ص52،53 .

(4) حسن بن محمد الوزان الفاسي: المصدر السابق، ص150.

(5) محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص 53.

(6) **قبيلة بني ماكر**: لم يعد لها وجود بالساحل، اعتصمت بعد دخول القبائل العربية بمرتفعات الميسات شرق آسفي التي أصبحت تعرف باسم هذه القبيل... ينظر: أحمد بوشرب: المرجع السابق، ص82.

(7) نفسه، 189.

المؤامرة وذهب إلى "دييغو ديمبراندا" (قائد أسطول) ولم يكن "دييغو أزامبوجا" قد أطلعه على ذلك إلى أن خصص له استقبالا حسنا وأواه ثمانية أيام، وأدلى بمبررات مقبولة على ما فعله، فأرسله "دييغو ديمبراندا" إلى ملك البرتغال فأرجعه هذا الأخير إلى آسفي ومنحه لقب قائد البادية نظرا لمعرفته بالبلاد[1]، كل هذا لإسكات القائد وضمان مواصلة التبعية للوجود البرتغالي بالبلاد وتسهيل الطريق أمام الاستغلال المباشر، كما وأن الملك البرتغالي لا يعرف عادات هذا الشعب ولا الطرق التي تجعلهم خاضعين له[2] ووصل "علي بن وشمين" إلى السلطة بفضل "دييغو أزامبوجا" لكن سرعان ما أظهر العداء لهم[3].

بدأ يحي بن تعفوفت خدمة البرتغاليين فخلال 1512م أرسله القبطان على رأس عدد من رجاله إلى تانسيفت لإدخال الضرائب لتلك المنطقة، فهاجمه قسم من الشياظمة، لكنه انتصر عليهم وأرغمهم على أداء الضرائب، وتحرك نحو الجبل الأخضر ونجح في إدخال أولاد عمران[4] سلميا تحت النفوذ البرتغالي[5]، كما قام يحي بدور جد مهم في نشر النفوذ البرتغالي في المنطقة وذلك بتحكمه في "عبدة" و"الغربية"[6].

بعد أن عزم "نونيو فيرناندس دي أطايدي" على أن يجتاح أراضي مراكش وعدل عن ذلك لعدة موانع فأوصى "يحي بن تعفوفت" و"ميمون" الذي كان أيضا في خدمة الملك البرتغالي أن يكونوا مستعدين بجنودهما وجنود الأعراب المتحالفين متى ما ناداهما، كما أوصى "دم بيدرو دي صوفا" (قائد أزمور) أن يحضر في اليوم الذي يعين له في ملاحات إقليم دكالة للالتحاق به، فامتثلوا لطلبه ولما اجتمعوا كشف لهم عما يريد، فسارعوا إلى تنفيذ خطته، وجمعوا جيوشهم وساروا بهذا الجيش حتى

---

(1) مامول كربخال: المصدر السابق، ص74.

(2) ليلى نحايلة: المرجع السابق، ص ص29،30.

(3) أحمد بوشرب: المرجع السابق، ص ص189،190.

(4) **أولاد عمران**: عاشت هذه القبيلة بجنوب إقليم دكالة وهي أحد قبائل الشرقية التي تتفرع إلى ستة فروع... ينظر: أحمد بوشرب: المرجع السابق، ص79.

(5) نفسه، ص218.

(6) ليلى انحايلة: المرجع السابق، ص30.

وصلوا باب فاس وجرت هناك معركة عنيفة مع الأشراف السعديين كان الظهور فيها للمسيحيين وانسحبوا بعد أن خربوا البلاد كلها[1].

وفي 1513م ساهم يحي مساهمة كبيرة في الهجوم على قبيلة أولاد أحمد وأرغمهم على دفع الضرائب[2] كما استطاع سحق الهنتانيين[3] وتنحيتهم، وساهم في إخضاع القبائل ومنع الشرفاء السعديين في نشر نفوذهم بشمال تانسيفت وضمد في وجه الوطاسيين، فقد أعطاه هذا العمل شهرة كبيرة لدى القبائل ولدى البرتغاليين، وتعرض خلالها لاتهامات أخطرها أنه يعد لخيانة المسيحيين ويخطط لاغتيال القبطان فكتب الملك البرتغالي "ليحي بن تعفوفت" يطلب منه الإلتحاق بالبرتغال لكن القبطان احتفظ بذلك الأمر، لكن بعد أن زادت شهرة بن تعفوفت وزاد شك القبطان فيه أخرج الأمر القاضي بالإلتحاق إلى البرتغال[4].

مكث "يحي بن تعفوفت" في البرتغال 22 شهرا بداية من غشت 1514م ولم يقرر الملك إرجاعه إلا بعد موت "نونيو فيرناندس دي أطايدي"، فوصل إلى أسفي في 21 يوليو 1516م[5]، وبعد موت هذا الأخير بعث الملك "دم ماسكارينيس" مكانه، وبعد عودة "يحي بن تعفوفت" من البرتغال[6] وجد بعض أعراب المنطقة أصبحت معارضة للسلطة البرتغالية، فكتب إلى هؤلاء القبائل واستدعى شيوخهم[7] ونجح بإعادة بعض القبائل إلى الطاعة وفي إعادة تهدئة البلاد مما جعله يظهر بمظهر المخلص والمنجي في نظر البرتغاليين[8] واصل خدمته للبرتغاليين ويتضح ذلك من خلال رسالة

---

(1) ديقو دي طوريس: المصدر السابق، ص ص 27- 29.

(2) أحمد بوشرب، المرجع السابق، ص218.

(3) **الهنتانيون**: ينتمون إلى قبيلة مصمودة، يسكنون في هنتانة أعلى جبال الأطلس الكبير، هم قوم أثرياء محبون للحرب، يدعون أنهم أشرف سكان إفريقيا، كانوا يحاربون الشرفاء قبل أن يستولوا على مراكش... ينظر: مارمول كربخال: المصدر السابق، ص67.

(4) أحمد بوشرب: المرجع السابق، ص ص217- 219.

(5) ليلى نحايلة: المرجع السابق، ص30.

(6) ديقو دي طوريس: المرجع السابق، ص50.

(7) De Castries henry: **Les sources inédites de l'histoire du Maroc**, 1 série, Dynastie Sadienne, Archives et bibliothèques De Portugal, T2, David Lopes et Robert Ricard, Paris, 1939, P24.

(8) أحمد بوشرب: المرجع السابق، ص219.

رسالة مؤرخة في 11 ماي 1517م مبعوثة من "إمانويل الأول" إلى سفيره في روما "ميكايل دا سيلفا" وجود قواد في خدمة وحاربوا المغاربة الغير خاضعين؛ فقد تضمنت الرسالة طلبا بحصول "يحي بن تعفوفت" على إمدادات حيث قال فيها: " منذ شهر يناير هزم يحي ملك مراكش مرتين – تشييدا بمنجزاته–، ينبغي إعطاء هذا المغربي الرماح والأسلحة الضرورية الأخرى التي يقوم بها لصالح البرتغال لذلك يطلب الملك البرتغالي من البابا أن يرخص بإعطاء أسلحة، وإنه لن يستعمل هذا الترخيص إلا لخدمة الله".

توضح هذه الرسالة طبيعة العلاقة بين بين يحي بن تعفوفت والعرش البرتغالي وطبيعة المكانة التي يحوزها إذ كانت تصرف عليه الأسلحة والأموال[1]، بعدما وصلت المساعدة "ليحي بن تعفوفت" حشد خمسة آلاف فارس من المتحالفين وقصد الشرفاء وأرسل إلى "دم ماسكارينيس" يطلب خمسمائة من حاملي الرماح بأسفي وقطعتين من المدفعية لأنه كان يريد التوغل حتى يصل إلى مراكش ويتغلب عليهم[2]، لكن لم تكن علاقته حسنة مع "دم ماسكارينيس" فنصحه خصوم "يحي بن تعفوفت" بعدم تلبية مطالبه خوفا من خيانته، حيث أن كل ما استطاع الحصول عليه هو خمسون فارسا بواسطة من يعرفون وفاءه[3].

توجه "يحي بن تعفوفت" إلى الملاحات مع أهل عبدة[4] والغربية[5] وهناك أرسلوا إلى أولاد عمران الذين تأخروا في المجيء لبضعة أيام، فبلغ "يحي بن تعفوفت" خبر وفاة أحد القادة الذي نصبه على دواوير أولاد مطاع مع خمسين فارسا، وكان هذا القائد يدعى "براون" وكان أخا لصديقه، وكما جرت العادة ذهب فإن "يحي بن تعفوفت" لزيارة صديقه وتعزيته لموت أخيه، فسار مع ثلاثة من

---

(1) ليلى انحايلة: المرجع السابق، ص31.

(2) ديقودي طوريس: المصدر السابق، ص ص50، 51.

(3) مارمول كربخال: المصدر السابق، ص83.

(4) **عبدة:** كانت هذه القبيلة بضواحي آسفي الغربية والشرقية، وجاء في أحد التقارير أنها تمتد من جبال بني ماكر وتازروت... ينظر: أحمد بوشرب: المرجع السابق، ص81.

(5) **الغربية:** كانت هذه القبيلة تمتد من المحيط إلى شرق قرية سرنو ثم إلى مشارف آسفي جنوبا وإلى مدينة الغربية التي لم تكن تابعة لها شمالا... ينظر: أحمد بوشرب: المرجع السابق ص80.

الشيوخ إلى دوار صديقه وبينما كانوا يتناولون طعام العشاء حتى دخل عليهم شيخان من أولاد عمران مقنعان واغتالاه بطعنة خنجر وقتلوا من كانوا معه[1]، وهكذا بعد موت يحي بن تعفوفت أسرع أولاد عمران لنهب الدواوير التي كان يقيم بها المسيحيون وتأتي هذه الأحداث كرد فعل عن الأحداث التي جرب للقبيلة فهجموا على الدواوير ونهبوها وقتلوهم، ولما بلغ الخبر "لدم ماسكريناس" أمر بالبحث عن قبيلة أولاد عمران فاقتفى أثرهم ولحقهم على بعد فرسخين[2] من المدينة وهناك قاتلهم وهزمهم[3] وقتل خمسين من أعراب قبيلة الغربية الذين كانوا مع أولاد عمران، وساق ستمائة وخمسين أسيرا منتقما من خيانتهم لبن تعفوفت وللمسيحيين الآخرين الذين قتلوهم[4].

بذلك تكون ولاية "يحي بن تعفوفت" على آسفي قد انتهت سنة 1518م، وقد كانت وفاته فاجعة للبرتغاليين بآسفي لأنه طالما خدم الملك[5]، كما اعتبر "يحي بن تعفوفت" من أكبر العملاء البرتغاليين لأنه لعب دورا كبيرا في نشر النفود البرتغالي في دكالة وغيرها وفي الدفاع عن المكتسبات البرتغالية، ورغم كل هذه الأدوار التي قام بها "يحي بن تعفوفت" بقى مجهولا فلم تشر إليه المصادر المغربية إلا قليلا[6].

ثانيا– بعض القبائل الدكالية:

بعد استيلاء البرتغاليين على مدينة آسفي، قام فقهاء المدينة الذين تمنعوا عن أداء الخراج للمسيحيين بتحريض المغاربة لمحاصرة المدينة فعسكر البربر مع قسم من أعراب أولاد سبيط[7] وأولاد

---

[1] ديبقو دي طوريس: المصدر السابق، ص ص 51، 52.

[2] **الفرسخ**: هو ثلاثة أميال، وقيل اثنا عشر ألف ذراع، وهو ما يقارب ثمانية كيلومترات (فارسية)... للمزيد ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، ط25، دار المشرق، بيروت، 1986م، ص576.

[3] ليلى انحايلة: المرجع السابق، ص ص40، 41.

[4] ديبقو دي طوريس: المصدر السابق، ص52.

[5] ليلى انحايلة: المرجع السابق، ص41.

[6] أحمد بوشرب: المرجع السابق، ص217.

[7] **أولاد سبيطة**: كانت تنتشر هذه القبيلة من أزمور شمالا إلى ضواحي الغربية جنوبا وشرقا حتى بداية منطقة أولاد عمران... ينظر: أحمد بوشرب: المرجع السابق، ص77.

عمران وبعض البربر من الشياظمة[1] في 13 ديسمبر 1510م، وطوقوا المدينة بعدة حصون ومعاقل وبدؤوا يحطمون السور الذي أقامه البرتغاليون بالقذائف وعندما أخبر الحاكم بمجيئهم، قام بالترتيبات للدفاع، وبعد مرور سبعة عشر يوما من الحصار ومقتل ستة ألاف مغربي في هجومين انسحب المحاصرون بخسارة كبيرة، في هذه الأثناء خضع عدد كبير من الأعراب والبربر لملك البرتغال[2].

وتوضح لنا رسالة من سكان آسفي إلى إمانويل الأول التبعية المطلقة لبعض أهل آسفي للعرش البرتغالي والدولة ككل، وقد جاء فيها[3]: "الحمد لله وحده! ... له عودة كل الأشياء، لقاء أمره لا مفر منه لأنه لا يمكن لأحد أن يحرر نفسه منه... إلى صاحب السيادة ومولالنا الملك دون امانويل حفظه الله خدامك وعبيدك، سكان آسفي الذين هم تحت سلطتك والعيش في طاعة الله وطاعتك، هم يسلمون عليك ويقبلون يديك والأرض تحت قدميك... كان هناك في آسفي رجل يستحق القيادة، لكن خيارنا وقع عليك وفضلناك عليهم ..."[4]، كما توضح لنا رسالة أخرى تبعية بعض أهالي أزمور للسلطة البرتغالية[5].

وفي 1511م شنى البرتغاليون غارة على دواوير تبعد بنحو فرسخين على مدينة آسفي وأسروا منهم خمسمائة وسبعة وستون شخص، وكانت الغنيمة التي تحصلوا عليها كبيرة وعادوا إلى آسفي منتصرين، وفي اليوم التالي ذهب قائد أعراب الغربية "عيسى أبو بكر" وقواد آخرين ليسلموا على "نونيو فرناندیس دي أطايدي" ويقدموا له الولاء باسم قبائلهم[6] كما خضعت قبيلة عبدة للبرتغاليين للبرتغاليين سنة 1511م بينما لم تخضع قبيلة أولاد عمران وشجعة وتميم وغيرها من القبائل حتى سنة

---

[1] **الشياظمة**: من الجماعات البربرية يعيشون في دواوير، وقد فضلت هذه القبائل الانسحاب إلى مناطق هامشية على الإندماج داخل القبائل العربية... ينظر: مارمول كربخال: المصدر السابق، ص78 ، أحمد بوشرب: المرجع السابق، ص81.

[2] أحمد بوشرب: المرجع السابق، ص76.

[3] ليلى انحايلة: المرجع السابق، ص33.

[4] Th. Carriere : **portugais a safi**, in le maroc catholique, n°1, cinquième année, Maroc, 1 janvier 1925, p p18,19.

[5] ينظر الملحق رقم 3.

[6] مارمول كربخال: المصدر السابق، ص ص77، 78.

1512م، بهذا يكون القسم الأكبر من دكالة قد أصبح خاضعا للسلطة البرتغالية إضافة إلى بعض قبائل الشرقية وقسم من الشياظمة[1].

وقد كان قواد القبائل يعينون من طرف الحاكم نفسه، ولم يكن ضروريا انتماء القائد إلى القبيلة التي يتعين على رأسها، بل على العكس كان فرض الأجانب على هذه القبائل أمرا مفروضا، فقد كان يحي الذي فرض، فيحي بن تعفوفت الذي فرض على رأس عبدة والغربية كان بربري، وعبد الرحمان بن حدو عين على رأس الشرقية مع أنه لا ينتمي للمنطقة[2]، لتدعيم نفوذهم عمد البرتغاليين إلى الاتصال بخصوم المولى أحمد "القائم بأمر الله" الذين كانوا يناهضون دعوته حيث أمدوهم بالمساعدات المختلفة ومن بين هذه القبائل قبيلة كزيما التي كانت تستقر حول حصن سانتا كروز وقبائل أزرارا التي قام قائدها مالك "بن داود" بدور هام في نشر فكرة الدخول تحت حماية البرتغال بين بعض قبائل السوس[3].

فقد تعامل الدكاليون مع المستعمر تعاملا سياسيا، وخضعت هذه القبائل للمستعمر لظروف سياسية قاهرة وذلك لعدم تقبلها للأمر الواقع، وبعد أن أكرهت على الرضوخ قامت بمحاولة سياسية لتبرير رضوخها للبرتغاليين، وذلك بجعل نفسها تابعة "ليحي بن تعفوفت" الذي جعلت منه الآمر والناهي والمتحكم في النصارى نفسهم والذي سيطردهم ويحرر آسفي[4].

لكن بعد احتلال آزمور أصبحت كل من قبيلة الغربية وعبدة والشياظمة وأولاد مطاع تابعة لآسفي بينما أصبحت الشرقية تابعة لآزمور، واقتضى هذا التقسيم إخراج الشرقية من سلطة "يحي بن تعفوفت" ، والغرض الأساسية من هذا التقسيم هو ضمان قسط من الضرائب لكل مدينة[5]، وبهذا أصبحت هذه القبائل تدفع الإتاوات للبرتغاليين، فقد كان أهل عبدة وأهل الغربية وأولاد مطاع

---

(1) أحمد بوشرب: المرجع السابق، ص ص230، 231.

(2) نفسه، ص258.

(3) عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص46.

(4) أحمد بوشرب: المرجع السابق، ص351.

(5) نفسه، ص ص264، 265.

وغيرهم من القبائل يدفعون حمل ألف بعير كل سنة ونصفها قمح ونصفها شعير (يشكل حمل بعير اثني عشر كيل أي حفنة) من القمح وعشرين من الشعير، وعلاوة على هذا كان البرتغاليون يتوغلون داخل البلاد مع المتحالفين معهم ويجمعوا خراج القبائل المجاورة، والذين يمتنعون عن الأداء يساقون أسرى إلى المدينة.

وقد قدم هؤلاء المتحالفون خدمات شتى للسلطة البرتغالية، ففي 1513م عندما أمر "دم مانويل" باحتلال أزمور، وبعد استشارة مجلسه قرر إرسال ابن أخيه "دم جيمس دوق دي براكانس" لهذه المهمة في جيش حشده وانطلق حتى وصل إلى مملكة فاس وهناك انتظر الدوق أن يجتمع جميع أتباعه، وعند وصولهم إلى مازيغن انظم إليه عدد من الأعراب ومع "زيدان" وكان في ذلك الوقت من أهم الأشخاص في أزمور، ومن هناك إنطلقوا إلى أزمور وتم حصار المدينة واحتلالها[1]، وعندما أراد "نونيو دي أطايدي" قائد أزمور أن يجتاح أراضي مملكة مراكش في سنة 1515م رتبوا الجنود قصد المعركة فكان أصحاب عبدة على الميمنة وأصحاب الشرقية في الميسرة والمسيحيون في الوسط، وساوا هكذا حتى وصلوا إلى أبواب المدينة[2]، وقد نظم البرتغاليون هجوما على مراكش مما جعل التوسع هذه السنة يعرف أقصاه، حيث استطاع البرتغاليون إخضاعهم للقسم الشمالي للشياظمة وتم تعيين القائد "بوجمعة" على رأسهم وجعله كحزام وقائي لمنع السعديين من عبور تانسيفت ومن الاتصال بعبدة، حيث قام هذا الأخير بالاحتكاك بالسعديين[3]، وجرت معركة عنيفة أصيب فيها "ميمون" قائد عبدة بجراح في إحدى ساقيه ودامت المعركة أكثر من أربع ساعات انتصر فيها المسيحيون وخربوا البلاد كلها[4].

لقد تعرضت هذه القبائل المتعاونة لمضايقات كقبيلة أولاد المطاع التي ذهبت إلى حاكم آسفي تشتكي له من أولاد عمران الذين كانوا يغيرون على بلادهم ويأخذون قطعانهم، وكانوا يسمونهم عبيد

---

(1) ديقو دي طوريس: المصدر السابق،ص ص 18- 21.

(2) نفسه، ص ص27- 29.

(3) أحمد بوشرب: المرجع السابق، ص232.

(4) ديقودي طوريس: المصدر السابق، ص ص28، 29.

المسيحيين، فقد ثار أولاد عمران وأوغلوا في البلاد بقطعانهم وحاربوا بعنف الأعراب الخاضعين لملك البرتغال، وكان "نونيو فيرناندس دي أطايدي" (حاكم آسفي) ينتهز الفرصة لإظهار نفسه، ولما علم أنهم اقتربوا من الأطلس الكبير أراد أن يصيبهم بضربة وانطلق من آسفي، وسار الليل كله وانقض في الصباح الباكر على أحد دواوير أولاد عمران[1]، وسلبها ونهبها وأخذ زوجة قائدهم ابن شموط ، فجمع ابن شموط وما أمكنه من المقاتلين وتبع المسيحيين وأخذ يرميهم برمحه حتى اضطروا للتصدي له، وهكذا دارت بينهما معركة عنيفة، قتل فيها "نونيو فيرناندس دي أطايدي" وفر البقية لدواوير الأعراب الآخرين من أصدقائهم لكنهم قتلوا وأسروا من طرف من كانوا يرجون منهم بعض الجميل ولم ينجوا منهم سوى خمسين شخصا واسترجع ابن شموط زوجته وجمع الغنيمة التي كان المسيحيون قد استولوا عليها وعاد منتصرا إلى دواويره.

بعد موت "نونيو فيرناندس دي أطايدي" وإرسال "دم نونيو ماسكارينياس" حاكما لأسفي ولما وصل إلى المغرب علم أن جميع المغاربة الذين كانوا موالين للسلطة البرتغالية قد ثاروا فحاول بجميع الوسائل أن يردهم إلى طاعة الملك، مؤكدا لهم أنهم لن يأخذوا على موت يونيو ولا على سائر الفرسان المسيحيين[2]، ولم يكن لهذه القبائل الدكالية أي خيار في ظل واقع الإمكانيات غير خيار العودة من جديد[3]، فقد بعث شيوخ قبائل الشرقية رسالة إلى إمانويل بتاريخ 3 أكتوبر 1516م يعلنون فيها توبتهم من التمرد الذي كان قد بدر منهم وأنهم اليوم يجددون خضوعهم للقبطان الذي أضفوا عليه الكثير من صفات المدح والثناء[4]، ورد كذلك "دم نونيو ماسكاريناس" أعراب عبدة ومعظم أهل الغربية[5].

---

(1) مارمول كربخال: المصدر السابق، ص80.

(2) ديقو دي طوريس: المصدر السابق، ص ص46- 50.

(3) أنس الصنهاجي: **ردود فعل المغاربة حيال الإحتلال البرتغالي "منطقة دكالة أنموذجا" 1508– 1769**، في مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، العدد11، 2016م، ص207.

(4) عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص283.

(5) مارمول كربخال: المصدر السابق، ص83.

وبعد اغتيال يحي بن تعفوفت (كما ذكرنا سابقا) من طرف قبيلة أولا عمران التي تعهدت لقبطان أزمور بالخضوع، أصبح القباطنة البرتغاليون لا يثقون في القبائل ولا في شيوخها كما أعلنت بعض القبائل عصيانها بعد موته، وذكر في تقرير أن في سنة 1519م أنه لا يوجد بدكالة ولو خاضع واحد، وأصبح الجنود السعديون يبادرون بالهجوم وتوقفت القبائل عن المشاركة في الغارات[1].

ثالثا– اليهود:

قد اعتمد القباطنة البرتغاليين على بعض الأسر اليهودية اعتمادا كبيرا[2] بعد أن تم منحهم حق الإقامة سنة 1510م في آسفي، وإذا صادف وقرر الملك ترحيلهم عن المدينة لسبب من الأسباب فسيتم منحهم سنتين لترتيب أمورهم و تأمين أغراضهم أثناء مغادرة المدينة، كما قد منح في نفس السنة اليهودي "أبراهام بن زميروا" منصب حاخام على يهود مدينة أسفي، فكان أبراهام يمضي باسم البرتغاليين نظرا لمكانته بإعتباره أحد العملاء[3]، فقد لعبت أسرة "أبراهام بن زميروا" بآسفي إلى جانب أسرة الحاخام "يوسف بن الديب" بأزمور دوا أساسيا في توسيع رقعة المناطق الخاضعة للنفوذ البرتغالي[4].

كما قد عمل اليهود على خدمة البرتغال فقد ساهموا في بناء تحصينات للدفاع عن المدينة تجاه أي قوى تريد تدميرها لصالح البرتغاليين كما حصلوا على امتيازات مقابل خدمتهم، وقد قدم اليهود بالإضافة للعمل العسكري معلومات وأخبار عن المنطقة نظرا لطبيعة الأنشطة التي كانوا يمارسونها[5]، كالرسالة التي بعث بها "يحي الديب" (يهودي) إلى "إيمانويل الأول" يعرب فيها عن تخوف دكالة وأزمور من غزو ملك فاس لهم باعتبارهم عملاء للبرتغال وأنه يحثهم على تقديم العون لهم[6].

---

(1) أحمد بوشرب: المرجع السابق، ص235.

(2) نفسه، ص255.

(3) ليلى انحايلة: المرجع السابق، ص64

(4) أحمد بوشرب: المرجع السابق، ص255.

(5) ليلى انحايلة: المرجع السابق، ص64

(6) عبد الهادي التازي: **الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب**، مج2، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، 2001م، ص313.

وفي حصار القبائل لمدينة آسفي وصلت النجدة للبرتغاليين فحدد لكل واحد مركزه وسلح اليهود بقيادة رئيسين هما: "إسحاق بن زميروا" و"إسماعيل" بعد أن قاموا بالتدريبات وعزموا على انتظار الهجوم وبعد مرور سبعة عشر يوما من الحصار ومقتل ستة آلاف مغربي انسحب المحاصرون ولولا التدخل اليهودي لكانت الخسارة أكبر، وفي 1512م أرسل "أبراهام بن زميروا" رسالة إلى الملك "إمانويل الأول" يخبره فيها بأن ملك مراكش ينوي القضاء على مسيحي مراكش[1].

في 1513م استطاع البرتغاليين احتلال مدينة أزمور بعد التعاون مع يهود المدينة الذين كانوا على اتفاق مع البرتغاليين المحاصرين لأزمور، حيث فتحوا لهم الأبواب على حين غفلة من أهلها[2]، وقد قام يهودي يدعى "يعقوب أديف" من يهود إسبانيا بالتجسس عن المدينة قبل احتلالها لصالح البرتغاليين مقابل تأمين قومه وحماية أملاكهم.

كما تجسس اليهود لصالح البرتغال على أمل تنحية العملاء من المغاربة المسلمين مثل "يحي بن تعفوفت" عن حكم المدن التي سيطر عليها البرتغاليون أو اعتلاء أي سلطة فيها وتولية اليهود بدل عنهم، فقام اليهود بهذا الدور على أكمل وجه داخل المدن وخارجها، فقد اشتكى يحي عدة مرات إلى محاكم البرتغال من تآمر اليهود وتلفيقهم الآكاذيب والتهم ضده[3].

فقد وجدت مذكرات "لأبراهام بن زميروا" بأسفي مؤرخة ب11 سبتمبر 1514م أخبار عن خروقات يحي بن تعفوفت قائلا فيها: "أن منذ تعيينه كحاكم وهو يقول بأن الملك البرتغالي سيترك آسفي وأن اغتيال عبد الرحمان كان خطأ كبيرا وأن احتلال البلاد من طرف المسيحيين هو العقاب وأنه يعمل على استيراد حكم المسلمين ..."، وأنه قال: "كان يتفانى في خدمة العرش البرتغالي لأجل إشعارهم بالثقة واستدراج القائد والنبلاء من أجل التمكن منهم"، ويضيف أبراهام في سلسلة

---

(1) ليلى النحايلة: المرجع السابق، ص ص66- 69.

(2) عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص42.

(3) عطا علي محمد شحاتة رية: **اليهود في بلاد المغرب في عهد المرينيين والوطاسيين**، دار الكلمة، سوريا، 1999م، ص ص61، 62.

الخروقات التي قام بها بن تعفوفت أنه قتل عبد الجليل (قائد 10 قرى من دكالة) لأنه لم يكن قد عين من طرفه وعين من طرف الملك[1].

كان أبراهام يرسل الأخبار لأنه كان يرى أن يحي بن تعفوفت منافسه في دور الوساطة، فقد كتب أبرهم لملك البرتغال بأن مصلحتهم تقتضي أن لا تستند أي مهمة لأي مسلم، وبهذا نفهم سبب عداء أسرة ابن زميرو "ليحي بن تعفوفت" وتآمرها ضده وتحريض القبطان عليه[2]، فقد أصبح اليهود بمثابة اليد اليمنى لهم في مختلف الميادين، وأصبحوا يمتهنون نشاطات تجارية عديدة[3] (صناعة المعادن والخياطة وصناعة الأحذية والذهب وباعة متجولون[4]، وقد كانت هذه النشاطات هي الممول الوحيد للوجود البرتغالي في المغرب، كما عمل اليهود على ترسيخ الوجود البرتغالي بآسفي عن امتهان وظائف أخرى يحتاجها البرتغاليون كالترجمة للعمل كوسطاء بينهم وبين المغاربة، فقد عمل ابن "أبراهام بن زميروا" "يعقوب روط" لصالح البرتغال وسخر جهوده كلها، لذلك حظي اليهود بثقة الطرفين المغاربة والبرتغال، فقد كان أبراهام يفاوض السعديين من قبل البرتغاليين من أجل عقد هدنة ومن أجل تحديد القبائل التي يجب أن تدفع الضرائب لهم، كما أظهر اليهود في أغلب المواقف ولائهم ودعهم للتواجد البرتغالي[5].

---

[1] ليلى انحايلة: المرجع السابق، ص70.

[2] حمد بوشرب: المرجع السابق، ص256.

[3] ليلى انحايلة: المرجع السابق، ص68.

[4] Daniel Rivet : **Histoire Du Maroc,** Librairie Artheme Fayard, Rabat, 2012, P33.

[5] ليلى انحايلة: المرجع السابق، ص ص64- 68.

المبحث الثاني:

محمد المتوكل (المسلوخ)

لقد ورث "محمد المتوكل" الحكم بعد وفاة أبيه، فبويع بفاس أولا ثم مراكش وقد كان ابن أمة وكان من أنبغ الخلفاء السعديين ثقافة لاسيما في الأدب والشعر، وقد اشتهر المتوكل بقسوته مثلما كان جده "محمد الشيخ" وأبوه "الغالب بالله"[1]، ولم يكن "محمد المتوكل" يحظى بمحبة الشعب لأنه كان مغرورا ولا يحترم أحد، وقد ذاع صيته منذ عهد أبيه بحياة اللهو والمجون[2].

أولا: نزاع محمد المتوكل مع عميه على العرش.

ازدادت رغبة العثمانيين في ضم المغرب بعد الفوز العظيم الذي نالوه عقب ضم تونس، وبعد التجاء عمي المتوكل "عبد الملك" و"أحمد المنصور"[3] إلى الجزائر طلبا لمساعدتهم، وقد شجع انتصار العثمانيين على الإسبان في تونس على مساعدة عبد الملك المطالب بالعرش المغربي، وفي هذه الأثناء كان "محمد المتوكل" يتبع خطة والده في التقرب من الدول المسيحية لصد الخطر العثماني حيث لم يعد لديه أي شك أنهم سينجدون عمه بقوات عسكرية[4]، وبالفعل فقد ساعد العثمانيون "عبد الملك" وأمدوه بقوات عسكرية انتصر بفضلها في معركة الروكان ضد المتوكل، فأصبح طريق فاس بعدها مفتوحا أمامه، فتوجه "عبد الملك" إلى مدينة مراكش[5]، وتمكن من تشكيل جيش من أهل الأندلس والأتراك ولما وصل "محمد المتوكل" فارا إلى مراكش جند جيوشه والتقى الجيشان في وادي

---

[1] إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص290.

[2] فالح حنظل: المرجع السابق، ص445.

[3] **أحمد المنصور (1578– 1603)**: بويع أحمد المنصور بوادي المخازن ثم تجددت بيعته بفاس، وفي فترة حكمه اهتم المنصور بتنظيم الجيش وبنى قصر البديع أعظم بني في عهد السعديين... ينظر: محمد الأمين محمد، أحمد علي الرحماني: **المفيد في تاريخ المغرب**، دار الكتاب، المغرب، د س ط، ص198.

[4] عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص97.

[5] نفسه: ص99.

الريحان وانتصر "عبد الملك" على المتوكل وبايع أهل مراكش "عبد الملك" واستقر فيها ثم انتقل إلى فاس[1].

فر "محمد المتوكل" من مراكش يجول في جبال السوس[2] وينتقل بين قبائلها وأحيائها إلى أن اجتمعت عليه مجموعة من الصعاليك وكون منهم جيشا وقادهم إلى مراكش ودخلها باتفاق مع أهلها وكتبوا له البيعة، وبلغ الأمر "عبد الملك" فحاصره بها وأرسل إلى أخيه ليأتيه بجيش، فتبع "أحمد المنصور" "محمدد المتوكل" ووارت بينهما هناك حرب طاحنة كان الانتصار فيها "لأحمد المنصور"[3]

حاول "المتوكل" استعادة عرشه من عمه فراح يبذل جهود متواصلة في سبيل ذلك، فقيل أن عشرين معركة وقعت بينهما خسرها المتوكل كلها[4]، فاستنجد "بفليب الثاني"[5] ملك الإسبان[6] لإعادته للعرش ففي الحادي عشر من نوفمبر 1577م وصل "محمد المتوكل" إلى قاعدة إسبانية قريبة من مدينة بادس ومعه عائلته وجيشه المكون من ألف رجل، وطلب اللجوء السياسي إلا أن الملك الإسباني لم يوافق على منحه هو وجنوده هذا الحق، بل وافق له ولعائلته فقط، واكتفى بأن وعده بالحماية اللازمة إن هو عاد إلى منطقة الجبال بالمغرب.

---

(1) مجهول: **الدولة السعدية التكمدارتية**، تح: عبد الرحمن بنحادة، عيون المقالات، المغرب، 1994، ص ص53- 55.

(2) **السوس**: يحد هذا الإقليم البحر المحيط غربا وجبال الأطلس شمالا، ونهر السوس الكبير شرقا، يشتمل اقليم السوس على أكبر جزء مم مملكة مراكش... ينظر: مارمول كربخال: المصدر السابق، ص27.

(3) أحمد بن خالد الناصري: **الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى**: تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج5، دار الكتاب، المغرب، 1997، ص ص67، 68.

(4) فالح حنظل: المرجع السابق،ص452.

(5) **فليب الثاني**: ابن شارل الخامس ملك إسبانيا، خلف والده في الحكم، ضم كل من هولندا والبرتغال إلى عرش إسبانيا سنة 1580م، وذلك بعد معركة وادي المخازن... ينظر: عائشة العرجاني وفتيحة هناوي: **السياسة البرتغالية في المغرب الأقصى أواخر الحكم الوطاسي وبداية الحكم السعدي نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، خميس مليانة، 2017/ 2018م، ص74.

(6) عائشة العرجاني وفتيحة هناوي: المرجع السابق، ص74.

لم يبق على المتوكل إلا أن يطلب العون من ملك البرتغال فكتب إلى حاكم سبتة البرتغالي برغبته في ذلك، وكتب الحاكم إلى ملك البرتغال عارضا طلب المتوكل فوافق على ذلك قائلا أنه يجب معاملته معاملة ملك فقد عرشه، وقد كان ملك البرتغال يعد العدة لغزو المغرب[1]، وبذلك وجدت البرتغال في "محمد المتوكل" لقمة صائغة للتدخل المباشر في المغرب بحجة تقديم العون، غير أن الغرض من وراء هذا هو التوغل أكثر في سواحل المغرب، خاصة وأن "دون سبستيان" كان يحلم دائما للسيطرة على المغرب[2] وقد شجعه على هذا سوء الأوضاع الداخلية بسبب الحروب الأهلية التي دارت بين المتوكل وعميه فقد انعكست مضاعفاتها على بصفة خاصة على البلاد[3] ، كما قال عبد العزيز الفشتالي[4] في كتابه مناهل الصفا " نفقت فيها أسواق الفتن وأظلم الجو فيها بالهرج في سائر أقطار المغرب حتى تنمرت الرعايا واستنصر بغاتها وطغى الجند الذي به قوام مائلها فغلب الفساد على صلاحه وتعذر النفع بها وتعطل الخراج منذ سنين...وانتسفت مخازن الحبوب والأقوات وأصبحت خاوية..."[5].

هكذا استقبل حاكم طنجة البرتغالي "محمد المتوكل" بالأصول السعدية الشريفة وبالمقابل فقد قام المتوكل بالإيعاز إلى أحد أعوانه وهو صهره القائد "عبد الكريم بن توده" المؤيد له كان لا يزال يحكم بلدة أرزيلا، فقد أمره بالتنازل عن هذه البلدة إلى السلطات البرتغالية ففعل ذلك، وبالتجاء "محمد المتوكل" إلى طنجة عند البرتغال فإنه أعطى مبررا قويا لملك البرتغال لتحقيق هدفه[6].

---

[1] فالح حنظل: المرجع السابق، ص452.

[2] سمراء بحري وسميرة بشير شريف: **معركة وادي المخازن وتأثيرها على أوضاع المغرب الأقصى: 986هـ-1578م/ 1022هـ- 1603م**، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2016/2015م، ص46.

[3] عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص101.

[4] **عبد العزيز الفشتالي**: من أهل فاس وأصل سلفه من قشتالة، أشهر وزراء الدولة السعدية وأشهر كتاب المغرب وشعرائها، كان وزير المنصور ومؤرخ الدولة السعدية... ينظر: أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي: **الجيش العرمرم الخماسي في دولة مولانا علي السجلماسي**، ج1، تح: أحمد بن يوسف الكسنوسي، مطبعة الوراقة الوطنية، المغرب، د س ط، ص243.

[5] أبي فارس عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص39.

[6] فالح حنظل: المرجع السابق، ص ص 452 ،453.

كان "دون سبستيان" في السادسة عشر من عمره في السنة التي أراد فيها تنفيذ الحملة البرتغالية على المغرب، إلا أن فكرة مغامرته لم تجد من يؤيدها فقد وصلت إليه رسائل من "الكاردينال هنري" (عم والده) ينصحه فيها بعدم القيام بهذه الحملة قائلا له: "إن النتائج المتوخاة من هذا العمل لا تعادل المخاطر التي سوف نتعرض لها" وغيرها من الرسائل فسخر منها وتثبت بحلمه[1]، حيث كان الهدف الأصلي للحملة هو احتلال العرائش، فهذا ما تم الاتفاق عليه بين "دون سبستيان" وخاله "فليب الثاني" وبينه وبين "محمد المتوكل"[2].

ثانيا: رسالة محمد المتوكل إلى العلماء

عندما التجاء "محمد المتوكل" إلى الشمال المغرب علم بالاستعدادات التي يقوم بها الملك البرتغالي لغزو المغرب، فأرسل إليه أسيرا برتغاليا كان عنده ليطلب منه الحماية والمساعدة، وانتقل المتوكل بعدها إلى سبتة وظل فيها أربعة أشهر ومنها إلى طنجة في انتظار "دون سبستيان" على رأس القوات العسكرية ومن طنجة، بعدها وجه المتوكل كتابا إلى علماء المغرب يبرر فيه فعلته[3] قائلا فيها: "ما ستصرخت بالنصارى حتى عدمت النصرة من المسلمين"

فأجابه العلماء: "أنه لا يجوز للإنسان أن يستعين على من غصبه حقه بكل ما أمكنه"

فهددهم وقال: "فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله" و سمى النصارة بأهل العدوة واستنكف عن تسميتهم بالنصارى، فأجابه العلماء عن رسالته برسالة فاضحة لركيك تأويله، قائلين فيها: "الحمد لله كما يجب لجلاله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير أنبيائه ورسله، والرضى عن آله وأصحابه، الذين هجروا دين الكفر فما نصروه ولا استنصروا به، حتى أسس الله دين الإسلام بشروط صحته وكماله"[4].

---

(1) فالح حنظل: المرجع السابق، ص ص454، 455.

(2) أحمد بوشرب: **وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه**، دار الأمان، المغرب، 1997م، ص123.

(3) عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص102.

(4) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ص70.

وبعد، فهذا جواب من كافة الشرفاء والعلماء والصلحاء والأجناد من أهل المغرب:

لو رجعت على نفسك اللوم والعتاب، لعلمن أنك المحجوج والمصاب...[1]

فقولك: "خلعنا بيعتك التي التزمناها، وطوقناها أعناقنا وعقدناها، فلا والله ما كان ذلك منا عن هوى متبع، ولا على سبيل خارج عن طريق الشرع المبتدع، وإن ذلك منا على منهج الشرع وطريقه، وعلى سبيل الحق وتحقيقه، وسنشرح لك ذلك ونبينه وسنسطره لك بالأدلة الشرعية التي ترقيه وتزينه، نعم كنت سلطانا بما عقد والدك من البيعة، وترك لك من الأموال والعدد والحصون مما لم يتهيأ مثله لأحد من أسلافكم الكرام رضوان الله عليهم، فجاهدوا بما حصل لهم من ذلك في الله حق جهاده، حتى استخلصوا من أيدي الكفار رقاب عباد الله وحصون بلاده، وأسسوا لدين الله قواعدا وأركانا[2]، وملكوا من المغرب بلادا معتبرة وأوطانا فلما وصل إليك ذلك ألقت إليك العباد أعنتها وملكتها وأزمتها غير مبدلين ولا مغيرين ولا طاغين ولا منكرين إلى أن قام عليك عمك، فحجتك التي لا يمكنك جحدها حسب ما ثبت كما يجب عقدها فخرجت مبادرا له برفعها ولقيته بها، وأنت واسطة عقدها وحامل راية عهدها وعمك في فئة لا يخطر على بال عاقل أن يقابل جندا من جنودك أو يدافع تحت لواء بنودك فما هو غلا أن جرى القتال وحضر النزال رجعت على عقبك هاربا هروب مطرود القصاص وجنودك تناديك ...[3] " .

وإن قلت: فعل عبد الملك ليس بحجة، قلنا: سكوت العلماء على ذلك وهم ما هم في زمانه هو الحجة، إذا لا يمكن أن يسكتوا على الباطل، وإقرار أهل العصر الواحد على مسألة من المسائل واتفاقهم عليها يقوم مقام الإجماع الذي هو حجة الله في أرضه، وكان أيضا من محفوظات علماء فاس المحروسة ما خرجه مسلم رضي الله عنه في صحيحه في كتاب الإمارة ما نصه: قال رسول الله صلى

---

(1) شوقي أبو الخليل: **وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة – القصر الكبير**، دار الفكر المعاصر، لبنان، 1988م، ص51.

(2) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ص ص70 ،71.

(3) محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: المصدر السابق، ص66.

الله عليه وسلم: "يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة عند رأسه يقال هذه غدرة فلان بن فلان، ألا ولا غادر أعظم من غدرا من أمير عامة..."[1]

فإن قلت: كان يجب على أهل فاس أن يقاتلوا على البيعة التي التزموها لك قلنا: "إنما يلزمهم القتال أن لو قمت بين أظهرهم فيكون قتالهم على وجه شرعي لأن القتال على الحدود الشرعية إنما يكون بعد نصب إمام يصدر الناس على رأيه ولا يمكنك أيضا جحدها..."

وإن قلت: إن أولئك الخلف لم يبايعوا عمك فتنقض بهم ما قررناه، قلنا: لم يطعن في خلافة أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله من تخلف منا من أهل الشام، وفيهم من قد علمت من الناس والإجماع على صحة بيعته: وسمي من تخلف عنها : باغيا لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمار: "تقتلك الفئة الباغية"...[2].

أما قولك: في النصارى فإنك رجعت إلى أهل العدوة واستعظمت أن تسميهم النصارى، ففيه من المقت الذي لا يخفى، وقولك: رجعت إليهم حين عدمت النصرة من المسلمين ففيه محضوران يحضر عنهما غضب الرب جل جلاله، أحدهما: كونك اعتقدت أن المسلمين كلهم على ضلال، وأن الحق لم يبق ما يقوم به إلا النصارى والعياذ بالله، والثاني: أنك استعنت بالكفار على المسلمين... قال صلى الله عليه وسلم: إني لا أستعين بمشرك...[3].

أما قولك: أنتم أهل بغي وعناد فلا نسلم لك ذلك إلا لو أقمت بين أظهرنا وقاتلت معنا حتى نرى أنسلمك أم لا. أما إذا هربت عنا وتركتنا فالحجة عليك لا علينا، وقد افتخرت في كتابك بجموع الروم وقيامهم معك، وعولت على بلوغ الملك بحشودهم.

---

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ص72.

[2] نفسه، ص ص73، 74.

[3] شوقي أبو الخليل: المرجع السابق، ص ص51، 52.

وأنى لك هذا مع قول الله تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَو كَرِهَ الْكَافِرُونَ[1]}....

وما ذكرته عند عمك: فاعلم أنه لما بلغة استنصارك بالكفار عقد ألويته المنصورة بالله في وسط جامع المنصور بعد أن ختم عليها أهل الله من حملة القرآن، وصحيح البخاري، وضجوا عد ذلك بالتهليل والتكبير، والدعاء له بالنصرة، والفتح المبين... هذه نصيحة إذا قبلتها، وموعظة إن وفقت إليها، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وهو نعم المولى ونعم النصير، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والسلام"[2]، انتهت الرسالة[3].

ثالثا: معركة وادي المخازن

بلغت السلطان "عبد الملك" أخبار استعدادات الملك البرتغالي فأرسل له ينبهه عن هذه المغامرة وعن عواقبها ويدعوه لعدم التهور والانصياع لآراء المتهورين من رجال حاشيته، وفي نفس الوقت كان "أحمد المنصور" يهيئ العدة الكافية من الرجال والعتاد[4]، جمع "دون سبستيان" جيوشا عظيمة قدرت بنحو ثمانية آلاف من الرجال مدججين بالبنادق والمدافع وسائر وسائل القتال الحديثة في ذلك الوقت وتقدموا مع المتوكل نحو القصر الكبير، ولما علم السلطان عبد الملك بتقدم الجيوش البرتغالية جمع جيوشه وترك العدو يتوغل في البلاد عمدا[5].

التقى الجيشان قرب وادي المخازن يوم الاثنين 04 غشت 1578م، وكان كل جيش قد اتخذ خطة معينة[6]، وقد عرفت هذه المعركة بمعركة وادي المخازن أو معركة القصر الكبير أو معركة الملوك

---

[1] سورة التوبة: الآية 32.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ص77، 78.

[3] للإطلاع على الرسالة كاملة... ينظر: أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ص ص70، 78.

[4] شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص177.

[5] محمد الأمين محمد وأحمد علي الرحماني: المرجع السابق، ص196.

[6] ينظر الملحق رقم 5.

الثلاثة وكانت أعظم معركة في تاريخ المغرب[1]، ورغم تدهور صحة "عبد الملك" وهو في طريقه من مراكش إلى القصر الكبير، إلا أنه خرج بنفسه ليرد الهجوم الأول وما هي إلا دقائق حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، وأكمل "أحمد المنصور" المعركة وقد صرع فيها "دون سبستيان" وألوف من جيشه[2]، وانتهت المعركة بانتصار المسلمين[3] وقتل فيها العديد من جند البرتغاليين، وممن وجد صريعا في القتلى يومئذ أبو عبد الله محمد بن عسكر الشريفي الشفشاوني صاحب "الدوحة"[4] وحاول "محمد المتوكل" الفرار فوقع غريقا في النهر ووجدت جثته طافية على الماء، فسلخ وملئ تبنا وطيف به حتى تمزق وذهب مع الرياح[5]، ليكون عبرة لمن يعتبر فخيانة الأوطان والدين والتعاون مع العدو جريمة لا يمكن للشعوب أن أن تغفرها، مهما كانت الأسباب والمبررات[6]، وقد كانت هذه الحملة آخر الحملات الصليبية التي قامت بها القوات البرتغالية على المغرب[7].

وبهذا يمكننا القول أن تعاون هذه الشخصيات والقبائل كانت نتيجة الفراغ السياسي الذي تسبب فيه النزاع بين الأنظمة الحاكمة آنذاك، لكن هذا لايبرر ما قام به هؤلاء المتعانون من تقديم التسهيلات التي عززت قوة البرتغال في البلاد وسهلت لهم عملية الغزو.

---

(1) عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص ص105، 106.

(2) شوقي أبو الخليل: المرجع السابق، ص65، 66.

(3) عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص106.

(4) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، 81.

(5) السعيد أعراب: **موقعة وادي المخازن واندحار الصليبية بالمغرب**، في مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المغرب، العدد190، 1957م.

(6) جلول بن قومار: معركة **وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا البرتغال– إسبانيا– فرنسا (986هـ– 1578م/ 1012هـ–1603م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، غارداية، 2011/2010م، ص86.

(7) محمد نبيل ملين: **السلطان الشريف– الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب**، مركز جاك بريك، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، 2013م، ص25.

الفصل الثالث:

المتعاونون مع الغزو الأيبيري في الجزائر وتونس خلال ق16

المبحث الأول: المتعاونون مع الغزو الأيبيري في الجزائر

أولا: يهود وهران

ثانيا: بعض قبائل بني عامر

المبحث الثاني: شخصيات متعاونة مع الغزو الإسباني في الجزائر

أولا: سالم التومي.

ثانيا: أبو حمو الثالث.

المبحث الثالث: المتعاونون مع الغزو الأيبيري في تونس

أولا: الحسن الحفصي والإسبان

أ- دخول خير الدين إلى تونس 1534م.

ب- حملة شارلكان على تونس 1535م.

الفصل الثالث:

المتعاونون مع الغزو الأيبيري في الجزائر وتونس خلال ق 16م

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني أوضاع سادها التمزق والتفكك والحروب الأهلية بين أفراد الأسرة الحاكمة، مما أدى إلى إضعاف وفقدان السلطة المركزية، فشجع الإسبان على استغلال هذا الوضع الذي تعاني منه الجزائر، فسارعت لاحتلال أهم موانئها الساحلية، فمن بين المدن التي تم استيلاء عليها: مدينة وهران والمرسى الكبير والجزائر...، مستعينة بذلك بعض قبائل الأعراب وحتى بعض الشخصيات، نذكر منهم:

أولا: يهود وهران:

لقد أغرى موقع مدينة وهران[1] وجمالها جميع قادة الإسبان، وخاصة "الكاردينال خمينيس"[2] الذي عزم على غزوها[3]،وتعتبر وهران من أهم المدن ببلاد المغرب الإسلامي وأغناها،بكثرة الأسواق التجارية ولموقعها الإستراتيجي[4]، ففي 16ماي 1509م نظم"الكاردينال خمينيس" حملة عسكرية شارك فيها كبار القادة والنبلاء الإسبان، وكان الجيش الإسباني يشمل أكثر من عشرة ألاف مقاتل.نزلت الحملة بالمرسى الكبير لإتمام الاستعدادات ووضع "الكاردينال خيمينس" خطة عسكرية للهجوم[5] على المدينة، فتمكن الإسبان من اقتحام وهران بعد أن استعانوا باليهودي "أسطورا"[1]

---

[1] **مدينة وهران**: مدينة ساحلية تقع على السفح الشرقي لجبل المايدة (مرجاجو) الجميل الذي يحمل كذلك إسم هيدور...للمزيد ينظر يحي بوعزيز: **مدينة وهران عبر التاريخ**،عالم المعرفة،الجزائر،2009،ص22.

[2] **الكاردينال خمينيس**: رجل سياسي إسباني جعلته إيزابيلا كاتم لسرها سنة 1492م ،وبعد وفاتها تولى شؤون دولة قشتالة، كما ساهم بشكل كبير في الإضطهاد الديني الذي تعرض له مسلمون الأندلس... ينظر نجيبدكاني: المرجع السابق، ص18.

[3] كاميلية دغموش: **قبائل الغرب الجزائري بين السلطة العثمانية والاحتلال الإسباني 1509– 1792م**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2014/ 2015م، ص33.

[4] حورية خداش و فتيحة صحراوي:**تحرير وهران 1792**،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2017/ 2018، ص11.

[5] عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص54.

الاشبيلي وبعض أعوانه أمثال:"عيسى العربي" والقايد "بن قانص"للذين فتحوا لهم أبواب المدينة غدرا وخديعة [2].

في اليوم الثاني من سقوط مدينة وهران قام "الكاردينال خمينيس" وجنوده بقتل من اعترض طريقهم بكل وحشية كما قاموا بسلب ونهب المدينة[3]والاستيلاء على التحف والنفائس والكتب النادرة وشحنت إلى إسبانيا، كما قاموا بتحرير300 أسير مسيحي وبتحويل مساجد المدينة إلى كنائس مع تحصينها لجعلها مراكز أساسية حربية لمواصلة مشاريع الاحتلال والتوسع[4].

فبواسطة العملاء من اليهود تمكنوا الإسبان من دخول مدينة وهران من دون أي حرب رغم مقاومة سكان مدينها[5]، كما ذكر المؤرخ مارمول كربخال في كتابه إفريقيا قائلا:(**أن عملية الغزو كانت أسهل مما كان متوقعا**)[6]، ولما مكن اليهود الإسبان من المدينة اشترطوا عليهم تسليم برج المرسى الكبير، فقاموا بتقديمه لهم وأصبح ينسب لليهود فسمي هذا البرج ببرج اليهودي الذي كان يقع بهيدور[7]وجعلوا لهم الصولة العظيمة ، فكانوا يخرجون لبني عامر لقبض الضريبة في زي الملوك إلاّ أن الإسبان قاموا بطردهم مخافة أن يفعلوا بهم ما فعلوا بالمسلمين من خداع[8].

---

[1]**أسطورا**: من مهاجري الأندلس الذين لجؤوا إلى وهران وأهلها الذين أنقذوهم من محارق الإسبان، وقد كان قابض المكوس العام لمدينة وهران... للمزيد ينظر، أحمد توفيق المدني:المرجع السابق، ص111.

[2]يحي بوعزيز:المرجع السابق، ص41.

[3] مبارك بن محمد الهيلالي الميلي: المرجع السابق، ص26.

[4] نجيب دكاني: المرجع السابق، ص17.

[5]عبد الحميد بن أبي زيان بن شنهوا:المرجع السابق، ص61.

[6]مارمول كربخال: المصدر السابق، ص330.

[7]**هيدور**: نسبة إلى أحد الأولياء الصالحين المعروف بسيدي هيدور وهو من رجال أواخر القرن الثالث الهجري والذي أصبح اسمه علما على جبل شامخ لكونه إتخذ فيه خلوة خلوة للتعبد، للمزيد ينظر يحي بوعزيز:**موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج1، دار الهدى، الجزائر 2009،ص 102.

[8]الآغا بن عودة المزاري: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تح يحي بوعزيز، ج1،دار الغرب الإسلامي، وهران، 1990م،ص211.

كما ذكر "أبوا راس الناصري" في كتابة عجائب الأسفار ولطائف الأخبار: (**ولما ملكوا المدينة أنزلوا اليهودي بهذا البرج وفوضوا لهم التصرف في الخرجات البرية والبحرية وقد كان يحكم بين أهل الإسلام في شكاياتهم ويأمر وينهي ويفصل ويقتل...كان يتصرف كيف ماشاء وهذه أكبر المصائب وأفضح المعايب، فقد كان منافسا بينه وبين النصارى الإسبان مما أدى إلى إخراجه ونفيه إلى عدوتهم**)[1].

كان طاغية للنصارى مقيم بوهران إسمه دكّ dakk قام بشن هجوم على المسلمين إلى أن دخل في طاعته من قبيلة الونازرة وقيزة وشافع وحميان وأولاد علي وأولاد عبدالله وغيرهم من قبائل بني عامر حيث إعتمد عليهم دكّ في جلب الأخبار وإتخد منهم جواسيس[2].

وبعد المعركة السالفة الذكر زاد اهتمام الإسبان لكسب ودّ العرب المتمركزين حول المدينة مستخدمين في ذلك جميع الوسائل والطرق، وهذا ما أدّى ببعض القبائل إلى إعلان تبعيتها وولائها للإسبان[3] كقبائل بني عامر[4] وغيرهم من الأعراب الواقعة ضمن دائرة وهران الإسبانية الذين سلموا سلموا قيادتهم للإسبان[5].

ثانيا: بعض القبائل المتعاونة مع الإسبان:

لقد أدى وجود الإسبان والعثمانيون في وهران والمرسى الكبير والمناطق الغربية إلى انقسام الشعب فمنهم من انحاز إلى الأتراك العثمانيين ومنهم من انحاز إلى الإسبانيين، أمّا القبائل الواقعة على الحدود

---

[1] أبو راس الناصري، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، ج1، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية، وهران، 2005، ص69.

[2] محمد أبو يوسف الزياني: **الدليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تح: الشيخ المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة، 2013، الجزائر، ص188.

[3] كاميلية دغموش: المرجع السابق، ص56.

[4] **قبائل بني عامر**: نسبة إلى عامر بني زغبة بن ربيعة بن نهيك بن هلال، بنو عامر بن صعصعة أحد بطون هوازن بن منصور بن يزيد أصل أراضيهم بجبل غوازن... ينظر، المصدر السابق، أبو الراس الناصري، ص69.

[5] حوريةخداش و فتيحة صحراوي: المرجع السابق،ص 15

الفاصلة بين إقليمي الإسبان والأتراك فقد بقيت مترددة بين التبعية لهؤلاء وأولئك، لما تضعف إبرة الظلم والعدوان الإسباني تميل للدولة العثمانية، ولما يضعف العثمانيون تقترب من الإسبان ويتجدد ذلك في كل مرة[1].

لكن بعد سيطرت الإسبان على المرسى الكبير ووهران كليا التجأ بعض هذه القبائل المتمردة إلى التعاون مع الإسبان، وأخذ المتعاونون يشكلون فئة معروفة من المجتمع وقد ساهم من دون شك في تعزيز وجودهم في المنطقة، وأصبح يطلق عليهم[2]العرب المنتصرة[3]، كما أطلق عليهم اسم آخر وهو "المغاطيس"[4].

كما وصفهم عبد القادر المشرفي في كتابه بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين من الأعراب كبني عامر: (**ولما استقل قدم الإسبانيين بوهران انحاز إليهم طوائف من الأعراب فصارو خدمة لهم ومن جملة جيشهم وكثر بهم السواد على المسلمين فكانوا لهم عليهم أعوانا وفي الدين الفاسد لهم إخوانا ، فشنوا بهم الغارات والسبب ذلك الطمع في غرضهم الفاني... ولا محالة أن هؤلاء الأعراب يطلق عليهم اسم "الأعراب المنتصرة" والمتعلقة بالنصارى بلا شك...**)[5].

---

[1] صالح عباد: المرجع السابق، ص304.

[2] عبد القادر فكاير: المرجع السابق، 343.

[3] **العرب المنتصرة**: يقصد بهم قبيلة حميان وغمرة والونازرة وقيزة وشافع وغيرهم من قبائل بني عامر...ينظر: محمد أبو يوسف الزياني: المصدر السابق،ص195.

[4] **المغاطيس**: يحكى أنهم غطسوا إمامهم الذي يصلي بهم وباعوه للإسبان غفلة منه وكيفية التغطيس يأتون بدوابهم للدواوير على صفة الحصر المتجولين بائعين للعطرية فإن وجدوا خبرا جلبوه للنصارى... ينظر:عبد القادر المشرفي الجزائري: **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر**، تح: محمد بن عبد الكريم، الدار الوعي، الجزائر، 2017، ص14.

[5] عبد القادر فكاير: المرجع السابق، 343

فقد كان الشيخ "بن عبد الرحمان بن رضوان" أول من انظم إلى الإسبان بعد أن تأكد من انهزام الأتراك العثمانيين ومقتل عروج ، وقد استمر التحالف بين قبائل بني عامر والإسبان مدة طويلة، حيث توسعوا بالمنطقة الغربية للجزائر في شعاع يصل طوله حوالي 20 فرسخا من وهران، ولقد أكدت تقرير إسبانية أن شريط بني غدو هو الحد الشرقي للسيادة الإسبانية وأن إقليم جماعة بن يعقوب هو الحد الجنوبي وإقليم جماعة أولاد ميمون هو الحد الغربي[1]، وهكذا تمكن الإسبان من السيطرة على معظم المناطق الغربية ، وأصبحت قبيلة بني عامر ومن أهم القبائل بذلك الوقت، فقد اعترفت بسيادتهم الكاملة عليهم وكانت من أكبر حلفائهم بالمنطقة، إضافة إلى الخدمات التي كانت تقدمها لهم ودفعها الدائم للضرائب[2]، وقد كانت قبيلة بني عامر تتفرع إلى عدة بطون هي:

- **كرشتل:**

وهي قبيلة من زناتة تنسب إلى جدها "كرشتل بن محمد بن الراشد بن عبد الرحمان المغراوي" وهم فرقة في غاية الضعف، وأصل مسكنهم في مدينة الشلف ثم انتقلوا إلى مستغانم وكانت مهمتهم جلب الأخبار للإسبانيين وتغطيس الناس[3]، ونسب إليهم أنهم كانوا يقومون بهذه الأعمال الدّنيئة رغبة في جمع المال وقد أدّى تواصلهم بالإسبان إلى الاستقرار حول مدينة وهران،وكانت لديهم زوارق يسافرون فيها من مداشرهم إلى وهران بعد أن اشتد عليهم الأمر وسدت عليهم الطرق البرية التي كانوا يحملون فيها للإسبانيين كل المواد الغذائية فقد كانوا لا ينقطعون عنهم[4].

- **قبيلة بني شافع:**

وسموا ببنو شافع لأنهم كانوا يشفعون في جند نصارى وهران وغيرهم من أخوتهم الرعية وذلك لقرب أرضهم من وهران ورياسة بنو عامر[5]، فكان عددهم حوالي عشرين دوارا[1]، فتقوى بهم

---

[1] كاميلية دغموش: المرجع السابق، ص ص56، 57.

[2] صالح عباد:المرجع السابق، ص، 303.

[3] عبد القادر المشرفي: المصدر السابق، ص13، 14.

[4] عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص345.

[5] أبو الراس الناصري: المصدر السابق، ص69.

الإسبانيون بغاية التمكين ، كما قد اشتدت شوكتهم على المسلمين واعتدوا بهم وصاروا مشتدين أكثروا من الغارات على الأقربين والأبعدين، وكانت تبعية شافع للإسبان أكثر من القبائل الأخرى، فهم لا يبرمون معم اتفاقيات مثل غيرهم، لذلك لم تكن شافع في حاجة إلى معاهدة الحماية ولا تقدم الرهائن، وكانت شافع تقطن وتستفيد من الإقليم الواقع بين أراضي وهران وخمسة فراسخ من ساحل غرب وهران[2].

- **قبيلة حميان:**

ينسب أفرادها إلى جدهم "حميان بن عقبة" بن عقبة بن يزيد بن عيسى بن زغبة الهيلالي، وهؤلاء أتوا مع بني عامر وانتقلوا معهم إلى ضواحي تلمسان ثم إلى وهران، وكانت لهم الرغبة الشديدة في التنصر وقد نصروا الإسبانيين نصرة شديدة على المسلمين[3]،وكان عدد سكانهم يتوزعون على أكثر من ثلاثين دوارا[4].

- **قبيلة غمرة:**

سكنت بجوار حميان أصلهم بأرض الحفرة من ملاتة وتعايشوا مع حميان فترة طويلة، إلا أن نسبهم يختلف عن الآخرين فهم ينتسبون إلى البربر عن طريق جدهم غمرة البربري عددهم يزيد على ستة دواوير وقد نصروا الإسبانيين نصرة شديدة على مسلمين حتى كانوا لهم سندا في كل شيء[5].

---

[1] **دوارا:** هو جمع دواوير، أي المدشر وهو أقل من القرية... ينظر: عبد القادر المشرفي الجزائري: المصدر السابق، ص14.

[2] صالح عباد:المرجع السابق، ص307.

[3] عبد القادر المشرفي: المصدر السابق، ص28.

[4] عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص346.

[5] كاميلية دغموش: المرجع السابق، ص60، 61.

- **قبيلة قيزة:**

وهم من أولاد عامر بن إبراهيم نسبة لجدهم قيزة بن عامر بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن حامد بن حجوش بن حجاز بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالي، سكنوا بنواحي عين تموشنت حتى سمي الجبل الذي سكنوا فيه باسمهم، إلا أن مكوثهم بهذه المنطقة لم يدم طويلا، فبعد التائهم بقبيلة الونازرة انتقلوا معهم إلى جهة ملاتة فسكنوا بضواحي تامزوغة (تقع أسفل جبل بوحنش في مسهل ملاتة جنوب سبخة وهران)، خضعوا للإسبان سنة 1517م[1]، وكانوا أهل بأس شديد ويطلق عليهم اسم اللصوص، فقد كان عددهم نحو ثلاثة عشرة دورا، وقد كانت لهم رياسة عظيمة مع الإسبانيين ومحبة شديدة، فكان من عملهم التجسس لصالح الإسبانيين، وقد قاموا بغارات عديدة على المسلمين و كانوا يتكونون من الجند الإسبانيين[2].

- **قبيلة أولاد عبدالله التالي:**

ينتسبون إلى جدهم "عبدالله بن سقير"، فقد كانوا يقيمون في وادي الثلاثاء بمنطقة ملاتة جنوب وهران، وكانت لهم صلة قوية بيهود المنطقة إلى جانب صلتهم بالإسبان[3]، فقد ذكر المشرفي في كتابه بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر:(**كان لهم عدادا كبيرا يبلغ به ستين دوارا، وكان لليهود عليهم من صولة العظيمة التي وسموهم بها سمة الخسف والذل،ومع كل هذا الذّل كانوا أشد نصحا وإعانة للإسبانيين في كل شيء، وكانوا يتصاهروا مع اليهود والإسبان**)[4].

---

[1] كاميلية دغموش: المرجع السابق، ص61.

[2] عبد القادر المشرفي: المصدر السابق، ص28، 29.

[3] عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص348.

[4] عبد القادر المشرفي: المصدر السابق، ص30.

- **قبيلة أولاد علي:**

وهم كذلك من فرقة بني عامر نسبة لجدهم علي بن عامر بن إبراهيم بن يعقوب بن زغبة الهلالي[1]، وكانوا يقيمون في الأراضي المحيطة بتامزوغة بالقرب من حميان شمالا فكان عدهم يبلغ سبعين دوارا ولهم علاقة مع الإسبان واليهود[2]، وقد خضعت للإسبان سنة 1523م، وكانوا أشد الإعتناء بهم يقدمون لهم التبن والحطب والعسل الخيل والبغال...

- **قبيلة الونازرة:**

هم بطن من بطون أولاد عبدالله بن صغير بن زغبة الهلالي، يقال لهم الونازرة نسبة لجدهم الونزار ، كانوا مستقرين في عين تموشنت، ولما جاء الإسبان لوهران كانوا من جملة جنودهم المعتمد عليهم، وقد أطلق عليهم الإسبان تسمية اللصوص ، وكان اليهود مكلفون بجباية الأموال من دواوير هذه القبائل[3].

ومع تعاون هذه القبائل مع الغزو الإسباني، كان الناس يعايرونهم بالدخول تحت ذمة الكفار[4]، كالقصيدة التي نظماها"الشيخ أحمد بن القاضي الشيخ عبدالله ابن علي المساوري:

فَمِن مَبْلَغْ عَنِي قَبَائِلْ عَامِرْ ولاَسِيـــمَا مِن ثوَى تَحت كافرْ

وكُل كمى مِن صَنَادِيد رَاشدْ بتيجانها مع رأسها عبـــد قادر[5]

وطلحة والأحلاف غرب هذه وشيخ سويـــــد بل وكل مفاخر

أيا معشر الإسلام أين فحولكم أما أبصروا في السبي غير الحرائر[1]

---

[1] نفسه، ص30، 31.

[2] صالح عباد: المرجع السابق، ص309.

[3] كاميلية دغموش: المرجع السابق، ص ص62، 63.

[4] نفسه، ص66.

[5] أحمد توفيق المدني:المرجع السابق، ص117.

أنا شدكم بالله ماعذر جمعكم لدى الله في وهران ذات الخنازر[2]

أذلكم الجبـــار كيف رضيـتم بسبي العذارى من بنات الأكابر

فصرتم من جور البغاة كأنكم يهود الجزائـر تعطونها بالأصاغـر

فلا همة تعلـــو بكم عن دنية ولاغيـــــرة تدعوكم للمآثـــــــر

ولا ذمة ترعونها في نبيـــــكم ولا حرمة تحمـــــــــونها بالبواتر

وما منكم ألا خصي أذلـــة بهيسمه النصراني يا آل عامـر...[3]

[1] أبو الراس الناصري: المصدر السابق، ص69.

[2] أحمد التوفيق المدني: المرجع السابق،ص118.

[3] أبو يوسف الزياني: المصدر السابق، ص206.

المبحث الثاني:

الشخصيات المتعاونة مع الإسبان

بعد التفكك وضعف السلطة المركزية، أخذت بعض الشخصيات البارزة تستنجد بالإسبان وتعلن تبعيتها لهم، وقد كان من بين هذه الشخصيات:

أ-سالم التومي:

بعد وفاة الشيخ "عبد الرحمان الثعالبي"[1]،أصبحت السلطة والحكم تحت بيد أولاد سالم المنافسين للثعالبة، فقد كانت السلطة في مدينة الجزائر قاسية على السكان[2]، وفي سنة 1510م تمركز الشيخ "سالم التومي"المستبد الذي كان حكمه مدعما من مجموعة من أقربائه التي كانت تمارس أعمال السلب والنهب في سهول المتيجة[3]، وبعد أن قام "بيدرونافارو" بالتقدم بأسطوله للتهديد والهجوم قصد إحتلال مدينة الجزائر.

أسرع سالم التومي وأعيان المدينة لترضية الإسبان للحفاظ على سلامة الأهالي[4]، ففي 31جانفي1510م غادر أعيان مدينة الجزائر متوجهين إلى مدينة بجاية لإعلان ولائهم للقائد الإسباني "بيدرونافارو"[5]، و تم عقد معاهدة بين الطرفان وأهم ماجاء فيها: الإفراج عن جميع الأسرى

---

[1] **عبد الرحمان الثعالبي**: تولى فترة الحكم من زمان ،ثم أنه تخلى عن مشيخة المدينة واشتغل بالتعليم والتدريس ثم انتقلت الرئاسة من الثعالبة إلى أولاد سالم... ينظر: نور الدين عبد القادر: **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر**، دار الحضارة، الجزائر، د س ط، ص53.

[2] مبارك بن محمد الهيلالي الميلي، **المرجع السابق**، ص43.

[3] إيقانوف نيقولاي: **الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574**، تر: يوسف عطا لله، الفارابي، بيروت، 1988، ص98.

[4] عبد القادر فكاير: المرجع السابق،ص59.

[5] كورين شوفاليه: **الثلاثون سنة الأولى لقيام الدولة الجزائرية1510-1541**، تر: جمال حمادنة، ديوان للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص123.

المسيحيين وتسليم إحدى الجزر المرتفعة تجاه مدينة الجزائر منها الحصن البنيون[1]، والالتزام بدفع مبلغ كبير من المال سنويا والاعتراف بالتبعية[2]، وزيادة ذهب حاكم مدينة الجزائر الذهاب شخصيا لإعلان خضوعه وطاعته لملك إسبانيا برفقة "**مولاي عبدالله**"[3]حاكم مدينة تنس الذي أعلن بدوره الاعتراف بالسيادة الإسبانية، وقد كانوا محملين بالهدايا الثمينة ومعهم 130 من العبيد[4]، وقد عانت مدينة الجزائر منذ استسلامها للأسبان سنة 1510م اضطرابات بخصوص دفع الضريبة[5]،وإعلان "سالم التومي" الطاعة والخضوع للإسبانيين[6].

وقد ذكر المؤرخ عزيز ألترسامح في كتابه الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا: (**فسالم التومي رجل ضعيف لاحول ولاقوة ، فالأجانب يهاجمونه من الخارج وفي الداخل،وقد عم الفساد أرجاء المدينة وكافة إدارتها ومؤسساتها**)[7]، وعلى غرار مافعله"سالم التومي"والتجاءه للإسبانيين رفض سكان الأهالي وبغية التخلص من الوصاية التي أرهقتهم وأشعرتهم بالذل والعار، استنجدوا بعروج وطلبوا منه المساعدة، وذلك من أجل طرد الإسبان من القلعة الصخرية التي غرست كالشوكة في أعناق الجزائريين[8].

---

[1] **حصن البنيون:**هي صخرة بحرية مقابلة لميناء مدينة الجزائر، تقع على بعد حوالي 300متر، أقام عليها الإسبان حصنا بغرض السيطرة على المدينة ومراقبة مينائها...للمزيد ينظر: محمد السعيد بوبكر: **العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال الثاني عشر هجري الثامن ميلادي1206-1119هـ/1708-1792م**،ط1، بيت الحكمة، الجزائر،2015،ص56.

[2] نبيل عبد الحي رضوان: **الغزوات الاستعمارية الإسبانية والبرتغالية في الشمال الإفريقي(818هـ/1415-917هـ/1511م)** ،مجلة المؤرخ العربي ،ع6، مج 1، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، 1998م، ص561.

[3] **مولاي عبدالله:** هومن عائلة بني زيان يتصف بالقسوة فقد شهد الحكم في عهده تمزق والصراع القائم بين الأسرة الحاكمة...ينظر: عزيز ألتر سامح: المرجع السابق، ص57.

[4] كورين شوفاليه: المرجع السابق، ص23.

[5] صالح عباد:المرجع السابق، ص46.

[6] نجيب دكاني: المرجع السابق،ص30.

[7] عزيز ألتر سامح: المرجع السابق، ص52.

[8] نفسه، ص50.

حينذاك فكر سكان الجزائر في حيلة للتخلص من "سالم التومي" فراسلوا "عروج" يستنجدون به ويعلنون له عزمهم على تسليمه قيادة الجهاد،لكن "سالم التومي" عارضهم لأنه كان يعرف أن ذلك يعني نهاية حكمه إلا أنه اضطر إلى القبول تحت ضغط الرأي العام الذين يطالب بالقضاء على المسيحيين وتخليص المدينة من تهديد الإسبان[1].

لبّى "عروج"للدعوة الصادرة إليه من مدينة الجزائر سنة 1516م[2]، ولما وصل للمدينة استقبله"سالم التومي"أحسن استقبال في قصره[3] أرسل عروج خبر إلى قائد الحامية الإسبانية يطالب منه الانسحاب من قلعة، فردّ عليه القائد لن نغادر القلعة لا بالسلم ولا بالحرب[4]،فقام عروج مباشرة مباشرة بقصف قلعة البنيون قصفا مستمرا من دون إنقطاعمدة20 يوما، لكن لم يتمكن من تخريب القلعة، فعبّر الأهالي و"سالم التومي" عن خيبة أملهم فيه[5]، ولما أدرك "سالم التومي" أن عهد المشيخة قد ولى بدأ في خلق المشاكل والمصاعب أمام "عروج" مما أدّى إلى إعدامه والتخلص من مؤامراته[6]، لأنه حاول تحقيق مصالحه في السلطة وتعاونه مع الإسبان مماأدى بعروج إلى تصفيته[7]، وأصبح عروج صاحب السلطة الوحيدة في الجزائر[8].

ومن الوثائق التي تثبت وتؤكد تعاون سالم التومي وأعيانه وتواصله مع الإسبان للسلطان "الكاردينال خمينيس"، التي نشرها الباحث توفيق المدني في كتابه حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر

---

[1] مبارك بن محمد الهيلالي الميلي: المرجع السابق، ص43، 44.

[2] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص174.

[3] Laugier de tassy: **Histoire du royaume d'Alger avec l'état de son gouvernement**, de ses forces de tarre et de mer et de ses Revenus, Police, Justice Politique et commerce, Amsterdam, 1725, P10.

[4] عزيز ألتر سامح: المرجع السابق، ص51، 52.

[5] صالح عبا،:المرجع السابق، ص47.

[6] حنيفي هيلالي: **الجزائر والملف الموريسكي خلال العهد العثماني**، في مجلة الحوار المتوسطي، ع 03-04 ، رئيس التحرير عبد القادر صحراوي، الجزائر، 2011-2012، ص 101.

[7] عبد الكريم غلاب: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، ج2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 2005م، ص338.

[8] أحمد توفيق المدني:المرجع السابق، 175.

وأسبانيا ورد فيها مايلي: (**الحمد لله إلى مدبر الملكة القشتالية وكبيرها وخليفة سلطانها الكردينال، بعد سلامنا عليكم، فالذي نعرفكم به هو أن ابن سلطان تنس ابنكم ومتعلق بكم، ومحسوب عليكم، وكذا ابن التومي صاحبكم في الجزائر أنذبح عليكم وعلى خدمتكم، وغفلتم عليه وعلى ابن السطان في تنس وعلى جميع من عاملكم، حاشاكم من هذا كنتم تعلمون على همتكم أعزموا للجزيرة (الجزائر)، قبل ما تأتي عمارة التركي فيستولي على هذا البر كله، ونحن عرفناك ولو يكون هذا الخبر عندكم...**)[1]

أماّ عن "يحي ابن سالم التومي" فقد فرّ إلى وهران واستنجد من الإسبان لاستعادة الحكم من الأتراك[2]، كما تحالف أيضا مع بعض الأعراب المقيمين بقلعة البنيون، ومن هذا قرر "عروج" تصفية المتعاونون ومعاقبة القبائل التي تحالفت معهم وكانت ضدّهم، وبعد تمركز الأتراك العثمانيون في الجزائر بعد الرسالة التي بعثها أهالي الجزائر إلى سليم الأول يطلبون منه ضم الجزائر للدولة العثمانية[3] عملوا على تأسيس حكومة قوية في شمال إفريقيا شكلت خطرا كبيرا على الحكومات المسيحية وخاصة إسبانيا التي اعتبرت الشمال الإفريقي مناطق النفوذ لها[4].

ثانيا– أبو حمو الثالث:

تجدد الصراع العائلي على الحكم في تلمسان، ففي عهد "أبو حمو الثالث" ابن "محمد الثابتي" الذي اتبع نفس سياسة أخيه بمهادنة الإسبان، فكان قد سجن أخوه أبي زيان [5]، وهذا الصراع أرهق أرهق الأهالي بحيث أصبح سلاطين الدولة الزيانية يستنجدون بالإسبان ويتعاونون معهم من أجل

---

(1) أحمد التوفيق المدني: المرجع السابق، ص ص175، 176.

(2) عزيز ألتر سامح: المرجع السابق، ص53.

(3) ينظر الملحق رقم 6.

(4) أحمد سالم:المرجع السابق، ص88- 90.

(5) كاميلية دغموش: المرجع السابق، ص38.

ضمان بقاء على كرسي العرش[1]، كسلطان تلمسان الذي كان مكلفا بدفع الضريبة سنويا الإسبان مقابل استمراره في الحكم ،إضافة إلى ذلك كان مكلفا بحماية وتأمين الأرزاق لعساكرهم الموجودة في وهران والمرسى الكبير، مما أدى بأهالي تلمسان إلى الضجر من حكم بني زيان بسبب اتصالهم المباشر مع الإسبان[2].

بعد الانتصار الذي حققه "عروج وخير الدين" في الصد الحملة الإسبانية لاحتلال مدينة الجزائر سنة 1516م ومقاومة الغزو المسيحي وحماية الإسلام والمسلمين الفارين من الأندلس، فقد استنجدت بهم مدينة تلمسان من أجل التخلص من الخطر الإسباني والقضاء على "أبو حمو الثالث" المتحالف مع الإسبان[3]، حينها سارع "عروج" بإرسال لأخيه "خير الدين" بأن يرسل له عبر البحر مدافع.

بعد أن جمع "عروج" قواته سار من تنس ليبلغ قلعة **بني راشد**[4]، فقد كانت هذه القلعة نقطة اتصال بين تلمسان ومدينة الجزائر[5]، فاتخذها مركزا لحمايته ومواصلة التقدم نحو الجزائر،فترك أخاه "إسحاق" في القلعة مع 300من المجاهدين، وكانت المواجهة مع الخائن "أبو حمو الثالث" في سهل أربال حيث كانت قواته تحتوي على جيش كبير من مقاتلين[6]، إلا أن رغم كثرة عددهم انهزموا شرّ هزيمة، فواصل عروج هجومه حتى ألتحق بالعاصمة فتمّ استقباله من طرف سكانها، أمّا السلطان "أبو حمو ثالث" فّر إلى مدينة فاس ومنها إلى الحاكم الإسباني بوهران مستنجدا به ومستمدا منه الطاعة والعون[7].

---

[1] عمار بوحوش:**التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص50.

[2] عزيز ألتر سامح: المرجع السابق،ص60.

[3] عمار بوحوش: المرجع السابق، ص53.

[4]**قلعة بني راشد:** هي إمارة تصلح لزراعة وجودة المراعي، سكانها بربر يسكنها عديد من أشراف الناس والأثرياء... للمزيد ينظر، مارمول كربخال، المصدر السابق، ص 324

[5] صالح عباد: المرجع السابق، ص48.

[6] نجيب دكاني: المرجع السابق، ص59.

[7] أحمد توفيق المدني:المرجع السابق، ص188.

قام عروج بتنصيب "أبي زيان" حاكما على عرش تلمسان، إلا أن الحياة السياسية شهدت ضعفا وتفككا وتدهورا في توحيد البلاد، فأمر "عروج" بقتل الأمير "أبي زيان" وأتباعه[1]، واستطاع بذلك إنهاء حكم بني زيان في تلمسان، وإعلان نفسه حاكما عليها[2]، ثم اتخذ قلعة **المشور**[3] مقاما له.

وفي ديسمبر1517م شرع "مارغيز دي كوماريس" حاكم وهران مع "أبو حمو ثالث" بالهجوم[4] مع القبائل المتحالفة من بني عامر وغيرهم من الأعراب وأتباع الزيانيين، واتجهوا إلى قلعة بني راشد وقاموا بمحاصرتها[5]، فقرر إسحاق الصمود في وجه العدو واستمرا في القتال،إلا أنه بعد معركة عنيفة لقي نفسه قد فقد أكثر من ثلثي جنده، بتعهد بتسليم القلعة لهم مقابل أن يتركوه ليلتحق بمدينة تلمسان، لكن عند خروجة من الحصن هجموا عليه أنصار "أبو حمو"واغتالوه غدرا في نهاية شهر جانفي1518[6].

بعدما سيطر"أبو حمو ثالث" والإسبان على قلعة بني راشد جهزوا حملة لغزو مدينة تلمسان ومحاصرتها، وتم إرسال قوات من إسبانيا بلغ عددها عشرة ألاف جندي[7]، وعندما سقطت أسوار المدينة في أيدي الإسبان تحصن "عروج" في المشور [8] وبعد ستة أشهر من الحصار استسلمت المدينة المدينة وتمكنوا من قتل "عروج" مع مجموعة من رجال حرسه الأتراك قرب واد المالح[9] الواقع بين

---

[1] مبارك بن محمد الهيلالي الميلي:المرجع السابق، 48.

[2] أحمد سالم: المرجع السابق، ص91.

[3] **المشور**:هي قلعة أنشأها الموحدون بعد سيطرتهم على المدينة في القرن الثاني عشر الميلادي،وبداخلها دور للسكنى ومسجد جامع الجميل...ينظر،يحي بوعزيز:**الموضوعات والقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ص72.

[4] إيقانوف نيقولاي: المرجع السابق، ص103.

[5] نجيب دكاني: المرجع السابق، ص60.

[6] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص190.

[7] أحمد سالم: المرجع السابق، ص91.

[8] مبارك بن محمد الهيلالي الميلي:المرجع السابق، ص50.

[9] وليام سبنسر: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص43.

وهران وعين تموشنت[1]، وبعد مقتله أعيد "أبو حمو ثالث" إلى عرش تلمسان ليكون حليفهم ضد الأتراك ويدفع لهم مبلغا ماليا كبيرا سنويا[2]، إلا أنه لم ينعم بعرشه طويلا الذي استرده بالخيانة بمعاونة بمعاونة الإسبان، فقد توفي في نفس السنة[3].

[1] صالح عباد: الملرجعالسابق، ص48.

[2] نبيل عبد الحي رضوان: المرجع السابق،ص 567.

[3] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص89.

المبحث الثالث:

الحسن الحفصي والإسبان:

شهدت السلطة الحفصية في القرن السادس عشر حالة من الضعف والانهيار والانقسام و الانتفاضات الداخلية والصراعات على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة، مما أدى بهم للاستنجاد "بخير الدين" الذي كان قد وجه اهتمامه إليها وحلمه لضم كل إفريقيا الشمالية.

شرع "خير الدين" في إعداد قوة من أجل القضاء على "الحسن الحفصي" المتعاون مع الإسبان، الذي بويع سنة 1526م، وكان السلطان قد أساء السيرة فاضطربت البلاد وخرجت عن طاعته معظم القبائل[1]، كما عمت الانتفاضات الداخلية وبدأت المدن تنفصل الواحدة تلوى الأخرى عن مركز السلطة بتونس[2]وانحصر نفوذ السلطان الحسن الحفصي إلى1530م في الشمال الغربي من البلاد التونسية وفي بعض المدن مثل سوسة والقيروان و عنابة[3]، وقد عرف الملوك الحفيون بحب الملك والملذات فكانوا ضعاف الشخصية[4].

لما وصل "الحسن الحفصي"إلى كرسي العرش أمر بالتخلص من إخوته المنافسين له، وبالفعل بذبح اثنين منهم[5]، فقد أحدث مجزرة بين أفراد السلطة الحاكمة، إلا أن أخوه"المولى الرشيد"قد نجا من بطش أخيه الطاغية وفرّ إلى أحد القبائل العربية ومنها أستنجد"بخير الدين بربروس"[6]، الذي كان يركز اهتمامه على تونس ومن جهة أخرى كانت الفرصة مواتية للأتراك والدولة العثمانية لكونها تمثل

---

[1] إبن أبي الدينار: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس،1682، ص152.

[2] عبد الحميد الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي،تونس، 2003، ص51.

[3] محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص64، 65.

[4] روباربرنشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**،ج1، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي،د س ط ،د م ط،ص310.

[5] البارون ألفونص روسوا ، **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، تق: محمد عبد الكريم الوافي، جامعة قاريونس، ليبيا،د س ط، ص83.

[6] صالح عباد: المرجع السابق، ص61.

موقعا إستراتيجيا هاما في حوض البحر المتوسط[1]،كما أنها تشرف على المضيق الصقلي بحيث تسمح له بالسيطرة عليه[2].

أ- دخول خير الدين تونس 1534م:

استقبل "خير الدين بربروس" "المولى الرشيد" وسار معه إلى القسطنطينية، حاملا مشروع إسقاط السلطان الحفصي[3]، كما أن السلطان خصص للمولى الرشيد مصروفا قدره خمسمائة أقجة[4] يوميا[5]، وبعد أن تحصل خير الدين على موافقة الباب العالي الذي أرسله له أربعين باخرة إلى عنابة وثمانمائة ألاف جندي[6]، وقبل أن يتوجه خير الدين بأسطوله لفتح تونس توجه إلى السواحل الأوروبية فهاجمها واستولى عليها، وقصد بذلك تهديد ونشر الرعب في نفوس الأوربيين تمهيدا احتلال مدينة تونس[7].

شرع "خير الدين" في إعداد الحملة على تونس في16أوت 1534م، فبلغ عنابة ووجد في انتظاره إمدادات جاء بها "الحسن أغا"،فاتجه خير الدين بأسطوله إلى بنزرت برا والحلق الوادي بحرا، فتمكن من دخولها دون عناء، واستقبله أهلها[8]، فاحتل حلق الوادي وتمكن من السيطرة على القلعة ، ولما سمع "الحسن الحفصي" بقدوم "خير الدين"واستيلائه على المدينة هرب،أما أنصاره الذين

---

(1) شافعي درويش: **علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العاشر هجري والسادس عشر ميلادي**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2010- 2011م، ص106.

(2) محمد خير فارس: المرجع السابق، ص33.

(3) صالح عباد: المرجع السابق،ص62.

(4) **أقجة**:أصلها مغولية وتعني نقد الأبيض وهي قطعة صغيرة من الفضة ووزنها خمسة قراريط، للمزيد ينظر سهيل صابان: **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م، ص20.

(5) ألتر عزيز سامح:المرجع السابق، ص112.

(6) مبارك بن محمد الهيلالي الميلي:المرجع السابق، ص58.

(7) أحمد سالم:المرجع السابق، ص124.

(8) أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص230.

رغبوا في المقاومة تم القبض عليهم[1]، وفي اليوم الموالي علم الأهالي أن "خير الدين" لم يأتي برفقة "المولى الرشيد" ومن خلالها أعلن خير الدين قائلا:(لقد انتهى حكم بني حفص ولم تعد طاعتكم مستوجبة لهم، بل للسلطان العثماني وأنا هو السلطان العثماني)فعاشت الدولة تمردا وفوضى، غير أنه في الأخير تمكن من تهدئة الوضع بين الأهالي في البلاد[2].

لم يتقبل الأهالي الخضوع للإدارة العثمانية، فقاموا بالدعوة السلطان "الحسن الحفصي" وشجعوه على مساعدته للاستلام الحكم ثانيا، وفعلا جهز "الحسن الحفصي" حملة على تونس لمهاجمة "خير الدين" إلا أنه لم يتمكن من الانتصار بعدما قتل ثلاثمائة ألف جندي من قواته، حينها أضطر "الحسن الحفصي" إلى الهرب إلى القيروان[3]، قام خير الدين بربروس بإعلان تبعية تونس للدولة العثمانية، وأنهى الحكم الحفصي بها كما سقطت في يديه العديد من المدن الساحلية، وأعلنت القبائل خضوعها وولائها للدولة العثمانية[4].

بعد المعركة السالفة الذكر التقى"الحسن الحفصي"بأحد أصدقائه من الأعلاج من أصل جنوي يدعى "إكزيما"، الذي قام بإقناعه ونصحه بالاستنجاد بالإمبراطور "شارل الخامس"وبأن يعرض عليه في المقابل الدخول تحت طاعته[5]، كما يذكر المجهول في كتابه غزوات عن استنجاد الحسن الحفصي للملك شارلكان قائلا:(إن رايس الترك بربروس ظلمني وأخذ مملكة أبائي وأجدادي من يدي ، فالجواب عليك أيها الملك أن تعينني بهذا العسكر الذي معك على ردّ مملكتي وإخراج هذا الرجل منها، فإن معي من العسكر ماقدره ستون ألف، أنا أحاصرهم برا وأنت بحرا فإن استولينا عليها تكون البلاد لك وأنا أكون مثل النّائب عندك فيها)[6].

---

[1] عزيز ألتر سامح: المرجع السابق، ص112.

[2] البارون ألفونصروسوا: المرجع السابق، ص85.

[3] عزيز ألتر سامح: المرجع السابق: ص113.

[4] أحمد سالم: المرجع السابق، ص124.

[5] البارون ألفونص روسوا: المرجع السابق، ص86.

[6] المجهول: **سيرة الجاهد خير الدين في الجزائر**، تح: عبدالله حمادي، دار القصبة ،2009، ص183، 184.

ب- حملة شارلكان على تونس 1535م:

كان الملك "شارلكان" قد استغل الفرصة للانتصاب والتمركز بالسواحل الشرقية للمغرب[1]، مستغلا بذلك انشغال الدولة العثمانية بحروبها مع إيران، فبدأ الإسبان بالاستعداد العسكري من أجل القيام بحملة ضخمة ضد تونس والسيطرة عليها والقضاء على الدولة العثمانية[2].

وفي 31 ماي 1535م انطلق الأسطول الإسباني من برشلونة بقيادة "شارلكان" وكان هذا الأسطول المتكون من 450 قطعة بحرية تحمل 30ألف رجل مقاتل، ورغم المقاومة العنيفة [3]إلا أن الإسبان نجحوا في الاستيلاء على الحلق الوادي[4]، ولما علم "خير الدين بربروس بحملة "شارلكان" الصليبية، ورغم ضخامتها فقد قرر التصدي لها بكل قوته، إلا أن الجيش العثماني لم يشتمل إلا على نحو سبعة ألاف من الأتراك ونحو خمسة ألاف من التونسيين[5]فقد كان بينهم قتال عظيم[6]

بعدها تم استيلاء على الحلق الوادي وصدرت أوامر بالهجوم على مدينة تونس[7]، فدخل جيش جيش شارلكان المدينة وصرح لهم بنهبها وفسقوا وارتكبوا كل المحرمات، وهدموا المساجد، ومزقوا كل الكتب النفيسة[8]، كما أن الأسرى المسيحيين تمكنوا من الفرار من سجونهم فقاموا بقصف القوات العثمانية[9]واستولوا على مدينة وأغلقوا أبوابها[10]، وأدرك خير الدين من خلالها أن النصر حليف

---

(1) عبد الحميد الأرقش وأخرون: المرجع السابق، ص53.

(2)شافعي درويش: **الحملة الإسبانية على تونس في سنة1535م**، في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 30، سبتمبر2017م ، جامعة غرداية، ص5.

(3) صالح عباد: المرجع السابق، ص62.

(4)محمد خير فارس،: المرجع السابق، ص34.

(5)أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص231.

(6) المجهول: المصدر السابق، ص185.

(7) البارون ألفونص روسوا: المرجع السابق، ص89.

(8) محمد فريد بك المحامي: **تاريخ الدولة العلية**، تح: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981م،ص233.

(9) صالح عباد: المرجع السابق، ص63.

(10) عزيز ألتر سامح: المرجع السابق، ص117.

الإسبان و اضطر إلى الانسحاب إلى مدينة عنابة[1]، وهكذا تمكن الإمبراطور "شارلكان" من الاستيلاء على مدينة تونس وإعلان "الحسن الحفصي" فروض الطاعة والولاء له[2]، واستعاد ملكه تحت الحماية الإسبانية[3].

أمضيت معاهدة بين الطرفان وأهم ماجاء فيها[4]: تقضي بإطلاق سراح جميع الأسرى المسيحيين[5]، والاستيطان بإقليم تونس وإقامة شعائرهم وطقوسهم الدينية بدون معارضة[6]، وتنازل وتنازل الحسن الحفصي للإسبان على مدينة بنزرت وحلق الوادي، وأن يتم دفع ضريبة سنويا قدرها 12ألف[7]**دوقا**[8]إضافة إلى مصاريف الحرب وأن يقدم له سنويا أثني عشر حصانا[9]، وأن يلتزم بعدم بعدم دخول البلاد أي مهاجر أندلسي أو يهوديا كان أو مسلما، ومن خلالها غادر إمبراطور شارلكان بأسطوله، ومعظم جيشه إلى مدينة صقلية[10] وجلس "الحسن الحفصي" على كرسي العرش وسط أكوام من الجثث ووسط الخراب والدمار دون أن يحسب حسابا لما حل بشعبه وبأرضه[11].

---

(1) مبارك بن محمد الهيلالي الميلي: المرجع السابق، ص59.

(2) أحمد سالم:المرجع السابق، ص125.

(3) عبد الحميد الأرقش وآخرون: المرجع السابق، ص53.

(4) ينظر الملحق رقم 7.

(5) محمد فريد بك المحامي: المرجع السابق، ص233.

(6) محمد العروسي المطوي:**السلطة الحفصية تاريخها سياسي ودورها في المغرب الإسلامي**،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1986،ص703.

(7) شوقي عطاالله الجمل: المرجع السابق،ص87.

(8) **دوقا**: هي عملة فلورنسية نسبة إلى مدينة فلورنسا وهي تعادل درهمين عثمانيين، وقد استعملتها الدولة العثمانية كعملة ذهبية...ينظر: عزيز ألتر سامح: المرجع السابق، ص119.

(9) محمد فريد بك محامي: المرجع السابق، ص233.

(10) أحمد توفيق المدني:المرجع السابق، ص234.

(11) عزيز ألتر سامح: المرجع السابق، ص120.

ما إن غادر الإمبراطور "شارلكان" مدينة تونس حتى وقع التمرد داخل البلاد، فثارت عدة مدن منها سوسة والقيروان ضد سلطة "الحسن الحفصي"[1]، فسادت الفوضى ولم يبقى "الحسن الحفصي" الحفصي" على عرش إلا بفضل الحماية الإسبانية[2]، إلا أن ابنه " أبو العباس أحمد الحفصي" المدعو "حميدة" قام بمهاجمته هو وجيش الإسباني المتحالف معه، فانهزم "الحسن الحفصي" سنة 1542م وألقي القبض عليه وأمر السلطان "حميدة" بعد استشارة الأعيان[3] بسمل عينه وخلفه إدارة الشؤون تونس[4].

وبهذا يمكننا القول أن بفضل قبائل بني عامر في الغرب الجزائري إضافة إلى بعض الشخصيات كسالم التومي وأبو حمو الثالث وحسن الحفصي في تونس سهل على الغزو الإسباني توطيد أقدامه في البلاد وذلك بفضل التسهيلات والخدمات كالجوسسة والتموين التي قدموها لهم ضد وطنهم.

---

[1] الباروني ألفونص روسوا: المرجع السابق، ص91.

[2] صالح عباد:المرجع السابق، ص92.

[3] شافعي درويش: المرجع السابق، ص119، 120.

[4] عطاالله شوقي الجمل: المرجع السابق،ص87.

الخاتمة

ومن خلال دراستا الموسومة ب" المتعاونون مع الغزو الأيبيري في شمال إفريقيا خلال القرن السادس عشر" نستنتج مايلي:

- كان لسقوط الأندلس سنة 1492م الأثر البالغ في تحرك الغزو الأيبيري نحو السواحل المغاربية، فقد عملت كل من الإسبان والبرتغال على مطاردة مسلمي الأندلس بعد أن فروا إلى السواحل المغرب العربي ومنها إلى الغزو.
- استغل الأيبيريون غياب السلطة المركزية في كل المغرب الأقصى والجزائر وتونس وطرابلس، وهذا مما سهل عليهم احتلال عدة نقاط مهمة من السواحل.
- ساعد الغزو الأيبيري على ظهور قيادات جديدة في بلدان الشمال الإفريقي، كظهور الدولة العثمانية في كل من الجزائر وتونس وطرابلس بعد أن عجزت السلطة الموجودة فيها على حمايتها، وظهور الأسرة السعدية بعد ضعف الأسرة الوطاسية وعجزها أمام الغزو البرتغال.
- حالة الفوضى والصراعات الداخلية التي كانت في المغرب الأقصى بين الأسرة الوطاسية والأسرة السعدية، وفي الجزائر بين أفراد الدولة الزيانية، وفي تونس بين أفراد الأسرة الحفصية سهلت على الغزو الأيبيري القيام بحملاته.
- خضوع وتعاون بعض القبائل كقبائل بني عامر بالجزائر وبعض القبائل الدكالية في المغرب كان نتيجة عجز الأنظمة الحاكمة آنذاك على حمايتها.
- خضوع بعض القبائل الدكالية في المغرب على غرار القبائل الأخرى كان بسبب الفراغ السياسي الناتج عن الصراع بين السلطة الشمالية التي تمثل السلطة الوطاسية والسلطة الجنوبية التي تمثل السلطة السعدية.
- المتعاونون (المغاطيس) قدموا خدمات عظيمة للاحتلال الأيبيري كالمساهمة في إخضاع القبائل الثائرة ضدهم.
- سعي الإسبان والبرتغاليين على تحسين العلاقات مع القبائل المتعاونة لكسب ودهم وتحقيق أهدافهم بسهولة.

- إن القبائل المتعاونة سهلت على الغزو الأيبيري التوغل أكثر في البلاد.
- المتعاونون في شمال إفريقيا أطالوا بقاء الاحتلال الأيبيري في المنطقة المغربية.
- المساهمة في مساعدة العدو بالتموين بالمواد الغذائية في الحصون، إضافة إلى الجوسسة على القبائل المتمردة ضدهم.
- التنافس بين هؤلاء المتعاونين للتقرب أكثر لنيل الحضوة والمكانة في بلاط الحكم الإسباني والبرتغالي.
- أهل المغرب في صراعهم مع الغزو الأيبيري طيلة القرن السادس عشر لم يتقبلوا الخيانات التي ظهرت من بعض المغاربة فكانت نهايتهم مأساوية، فخيانة الأوطان جريمة لا يمكن للشعوب أن تغفرها.
- وأخيرا نتمنى أن يكون هذا البحث بمثابة خطوة إيجابية تساعد أي باحث للبحث أكثر في الموضوع.

المصادر و المراجع

فهرس المصادر والمراجع:

1- **القرآن الكريم:** برواية ورش بن نافع.

أولا– المصادر العربية:

2- البكري أبي عبيد: **المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب،** مكتبة المثنى، بغداد، د س ط.

3- إبن أبي الدينار: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس،** مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1682م.

4- الزياني محمد بن يوسف: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران،** تح: البوعبدلي الشيخ المهدي ، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م.

5- الفشتالي عبد العزيز: **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا،** تح: كريم عبد الكريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، المغرب، د س ط.

6- الكنسوسي أبي عبد الله محمد بن أحمد: **الجيش العرمرم الخماسي في دولة مولانا علي السجلماسي،** ج1، تح: أحمد بن يوسف الكسنوسي، مطبعة الوراقة الوطنية، المغرب، د س ط.

7– الوفراني محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله: **نزهة الحادي بأخبار ملوك الحادي،** مطبعة بردين، المغرب، 1888م.

8– مجهول: **الدولة السعدية التكمدارتية،** تح: عبد الرحمن بنحادة، عيون المقالات، المغرب، 1994م.

9- مجهول: **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية،** محمد بن أبي شنب بالمدرسة الثعالبية، الجزائر، 1960م.

10- مجهول: **سيرة الجاهد خير الدين في الجزائر،** تح: عبدالله حمادي، دار القصبة، الجزائر، 2009م.

11- المزاري الآغا بن عودة: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر،** تح: يحي بوعزيز، ج1،دار الغرب الإسلامي، وهران، 1990م.

12– الناصري أبوراس:**عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**،ج1، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005م.

ثانيا– المصادر المعربة:

1- بربروس خير الدين: **مذكرات خير الدين بربروس**، تع: محمد دراج، شركة أصالة للنشر والتوزيع، الجزائر،2010م.

2- دي طوريس دييقو: **تاريخ الشرفاء**، تر: محمد الحجي ومحمد الأخضر، المدارس، المغرب، 1989م

3- فيرواشارل: **الحوليات الليبية، من الفتح العربي حتى الغزو الايطالي**، ط3، تح: محمد عبد الكريم الوافي، جامعة قازيونس، ليبيا، 1993م.

4- كربخال مارمول: **إفريقيا**، ج1، تر: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1984م.

5– كربخال مارمول: **إفريقيا**، ج2، تر: حجي محمد وآخرون، مكتبة المعارف، المغرب، 1989م.

6– الوزان حسن بن محمد الفاسي: **وصف إفريقيا**، تر: محمد الحاجي، محمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م.

ثالثا– المصادر الفرنسية:

1- De Castries henry:**Les sources inédites de l'histoire du Maroc**, 1série, Dynastie Sadienne, Archives et bibliothèques De Portugal, T2, David Lopes et Robert Ricard, Paris, 1939.

2- De Grammont H.D:**histoire d'Alger sous la domination turque (1515- 1830),** Paris**,** 1887.

3- Laugier de tassy:**Histoire du royaume d'Alger avec l'état de son gouvernement**, de ses forces de tarre et de mer et de ses Revenus, Police, Justice Politique et commerce, Amsterdam, 1725.

رابعا– المراجع العربية:

1- الأرقش عبد الحميد وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي، 2003.

2- الخايلة ليلى: **يهود آسفي خلال القرن 16م**، مطابع الرباط، المغرب، 2015م.

3- الباروني عمر: **الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، مطبعة ماجي، طرابلس، 1952م.

4- بن شنهوا عبد الحميد بن أبي زيان:**دخول الأتراك العثمانيين للجزائر**، مكتبة جواد سامي، الجزائر، 1972م.

5- بوبكر محمد السعيد: **العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال الثاني عشر هجري الثامن ميلادي1206-1119هـ/1708-1792م**، بيت الحكمة، الجزائر، 2015م.

6- بوحوش عمار: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

7- بوشرب أحمد: **دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور**، دار الثقافة، المغرب، 1984م.

8- بوشرب أحمد: **المغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، 1996م.

9- بوشرب أحمد: **وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه**، دار الأمان، المغرب، 1997م.

10- بوعزيز يحي: **مدينة وهران عبر التاريخ**، عالم المعرفة، الجزائر،2009م.

11- بوعزيز يحي:**موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009م.

12- التازي عبد الهادي: **التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، مج7،الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1988م.

13- التازي عبد الهادي:**الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب**، مج2، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، 2001م.

14- الجمل شوقي عطا الله: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)**، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، 1977م.

15- حركات إبراهيم: **المغرب عبر التاريخ**، المجلد الثاني، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1978م.

16- حنظل فالح: **العرب والبرتغال في التاريخ 711م إلى 1720م**، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات المتحدة العربية، 1997م.

17- أبو الخليل شوقي: **وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة – القصر الكبير**، دار الفكر المعاصر، لبنان، 1988م

18- سالم أحمد:**السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2011م.

19- شحاته عطا علي محمد رية: **اليهود في بلاد المغرب في عهد المرينيين والوطاسيين**، دار الكلمة، سوريا، 1999م.

20- الشريف محمد الهادي: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تع: محمد الشاوش، محمد عجينة ، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993م.

21- ضيف شوقي: **عصر الدول والإمارات الجزائر– المغرب الأقصى– موريتانيا– السودان**، دار المعارف، القاهرة، د س ط.

22- عبد القادر نور الدين: **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها على انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، الجزائر، 2007.

23- عباد صالح: **الجزائر خلال العهد التركي 1514– 1830**، دار هومة، الجزائر، 2012م.

24- العقاد صالح: **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر**، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، 1993م.

25- غلاب عبد الكريم: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، ج2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 2005م.

26- فارس محمد خير: **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، دار الشرق العربي، بيروت، 1969م.

27- فكاير عبد القادر: **الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910– 1206هـ/ 1505– 1792)**، دار هومه، الجزائر، 2012م.

28- كريم عبد الكريم: **المغرب في عهد الدولة السعدية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية**، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، المغرب، 2006م.

29- محمد الأمين محمد والرحماني أحمد علي: **المفيد في تاريخ المغرب**، دار الكتاب، المغرب، د س ط.

30- محمد فريد بك المحامي: **تاريخ الدولة العلية**، تح: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981م.

31- المدني أحمد توفيق: **حرب الثلاثمائة سنة بين إسبانيا والجزائر 1492– 1792**، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، د س ط.

32- المطوي محمد العروسي: **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

33- ملين محمد نبيل: **السلطان الشريف– الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب**، مركز جاك بريك، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، 2013م.

34- الميلي مبارك: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964م.

35- الناصريأحمد بن خالد: **الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى**: تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج5، دار الكتاب، المغرب،1997م.

36- الهاشمي إياد علي :**تاريخ أوروبا الحديث**، دار الفكر، عمان، 2010م.

37- يحي جلال: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م.

خامسا– المراجع المعربة:

1– ألتر عزيز سامح: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.

2- البارون ألفونص روسوا ، **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، تر: محمد عبد الكريم الوافي، جامعة قاريونس، ليبيا، د س ط.

3- برنشفيك روبار: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**، ج1،تر:حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، د م ط، د س ط.

4- سبنسر وليام: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006م.

5- كورين شوفاليه: **الثلاثون سنة الأولى لقيام الدولة الجزائرية1510-1541**، تر: جمال حمادنة، ديوان للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

6- نيقولاي إيفانوف: **الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574**، تر: يوسف عطاالله، الفارابي، بيروت، 1988م.

سادسا- المراجع الفرنسية:

1- Daniel Rivet:**Histoire Du Maroc,**Librairie Artheme Fayard, Rabat, 2012, P33.

سابعا- المقالات العربية:

1- أعراب السعيد: **موقعة وادي المخازن واندحار الصليبية بالمغرب**، في مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المغرب، العدد190 ،1957م.

2- رضوان نبيل عبد الحي: **الغزوات الاستعمارية الإسبانية والبرتغالية في الشمال الإفريقي(818هـ/1415-917هـ/1511م)** ،في مجلة المؤرخ العربي، العدد6، مج 1، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، 1998م.

3- الشافعي درويش: **الحملة الإسبانية على تونس في سنة1535م**، في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 30، جامعة غرداية، سبتمبر 2017م.

4- الصنهاجي أنس: **ردودفعل المغاربة حيال الإحتلال البرتغالي "منطقة دكالة أنموذجا" 1508- 1769م**، في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، العدد11، 2016م.

5- هيلالي حنيفي: **الجزائر والملف الموريسكي خلال العهد العثماني**في مجلة الحوار المتوسطي ع 03-04، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر 2011-2012م.

6- يوسف إلهام وصقر ولاء علي: **الاحتلال البرتغالي لسواحل المغرب الأقصى (818- 996هـ/ 1415- 1587م)**، في مجلة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، سوريا، مج: 39، العدد 5، 2017م.

ثامنا- المقالات الفرنسية:

1- Th. Carriere:**portugais a safi**, in le maroc catholique,n°1, cinquième année, Maroc, 1 janvier 1925, p p18,19.

تاسعا- الرسائل الجامعية:

1- بحري سمراء بحري وشريف سميرة بشير: **معركة وادي المخازن وتأثيرها على أوضاع المغرب الأقصى: 986هـ-1578م/ 1022هـ- 1603م**، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2016/2015م.

2- بن قومار جلول: معركة **وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا البرتغال- إسبانيا- فرنسا (986هـ- 1578م/ 1012هـ-1603م)**، مذكرة لنيل شهادة المجاستير في التاريخ، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، غارداية، 2011/2010م.

3- خداش حورية وصحراوي فتيحة: **تحرير وهران 1792**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2017/ 2018م.

4- دغموش كاميلية: **قبائل الغرب الجزائري بين السلطة العثمانية والاحتلال الإسباني 1509- 1792م**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2014/ 2015م.

5- الشافعي درويش: **علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العاشر هجري والسادس عشر ميلادي**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2010- 2011م.

6- العرجاني عائشة وهناوي فتيحة: **السياسة البرتغالية في المغرب الأقصى أواخر الحكم الوطاسي وبداية الحكم السعدي نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م**، مذكرة لنيل

شـهادة الماسـتر في التـاريخ الحـديث والمعاصـر، جامعـة الجـيلالي بونعامـة، كليـة العلـوم الإنسانية والإجتماعية، خميس مليانة، 2017/ 2018م.

عاشرا– المعاجم:

1- البعلبكي منير:**معجم أعلام المورد موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين**،درا العلم للملايين، بيروت، 1992م.

2- صابان سهيل: **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م.

3- **المنجد في اللغة والأعلام**، ط25، دار المشرق، بيروت، 1986م.

الملاحق

الملحق رقم 1:

خريطة تمثل الدويلات الحاكمة في شمال إفريقيا خلال القرن 16م[1].

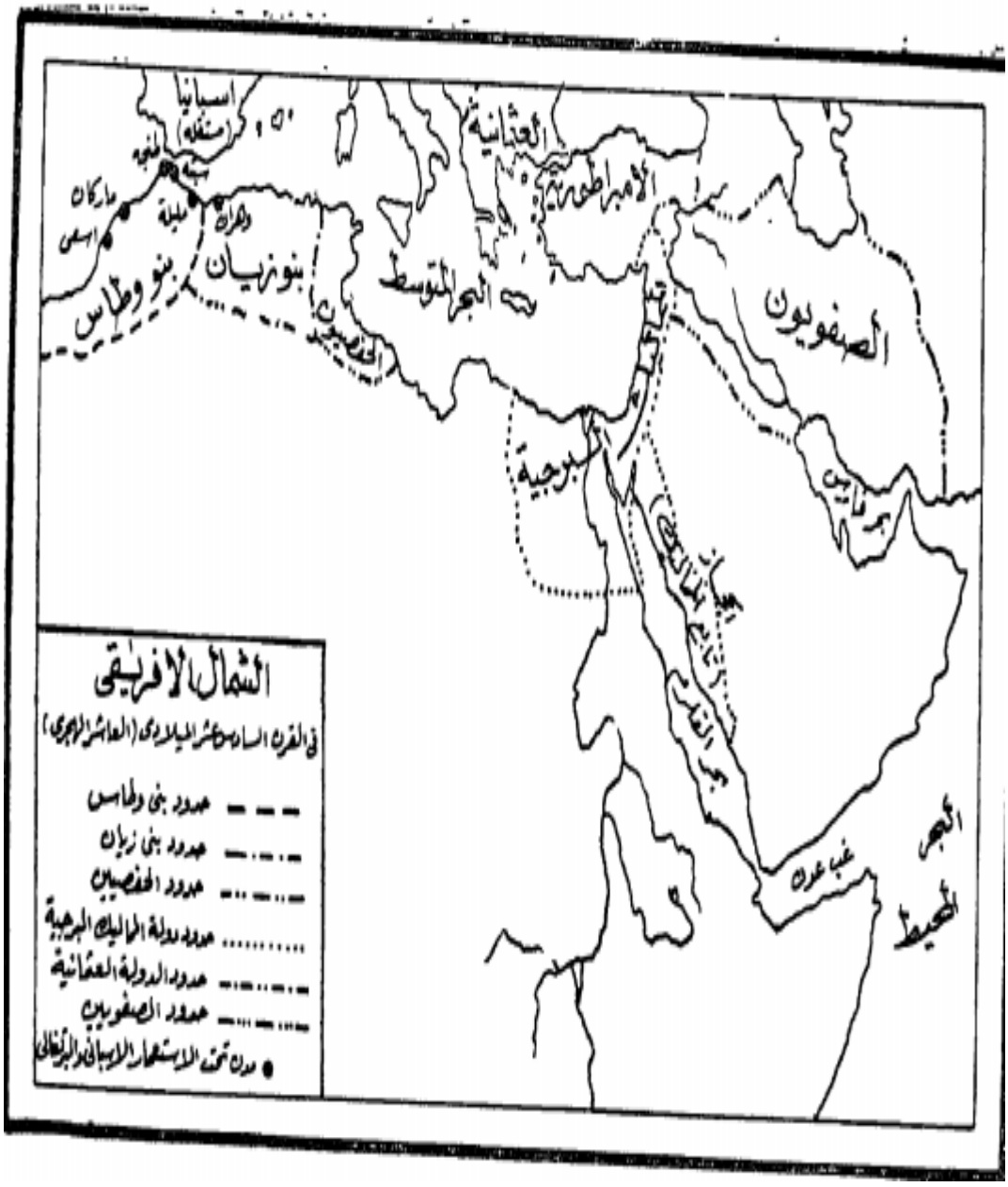

[1] شوقي عطاالله الجمل: المرجع السابق، ص479.

الملحق رقم2:

الغزو الإيبيري لسواحل المغرب الأقصى[1]

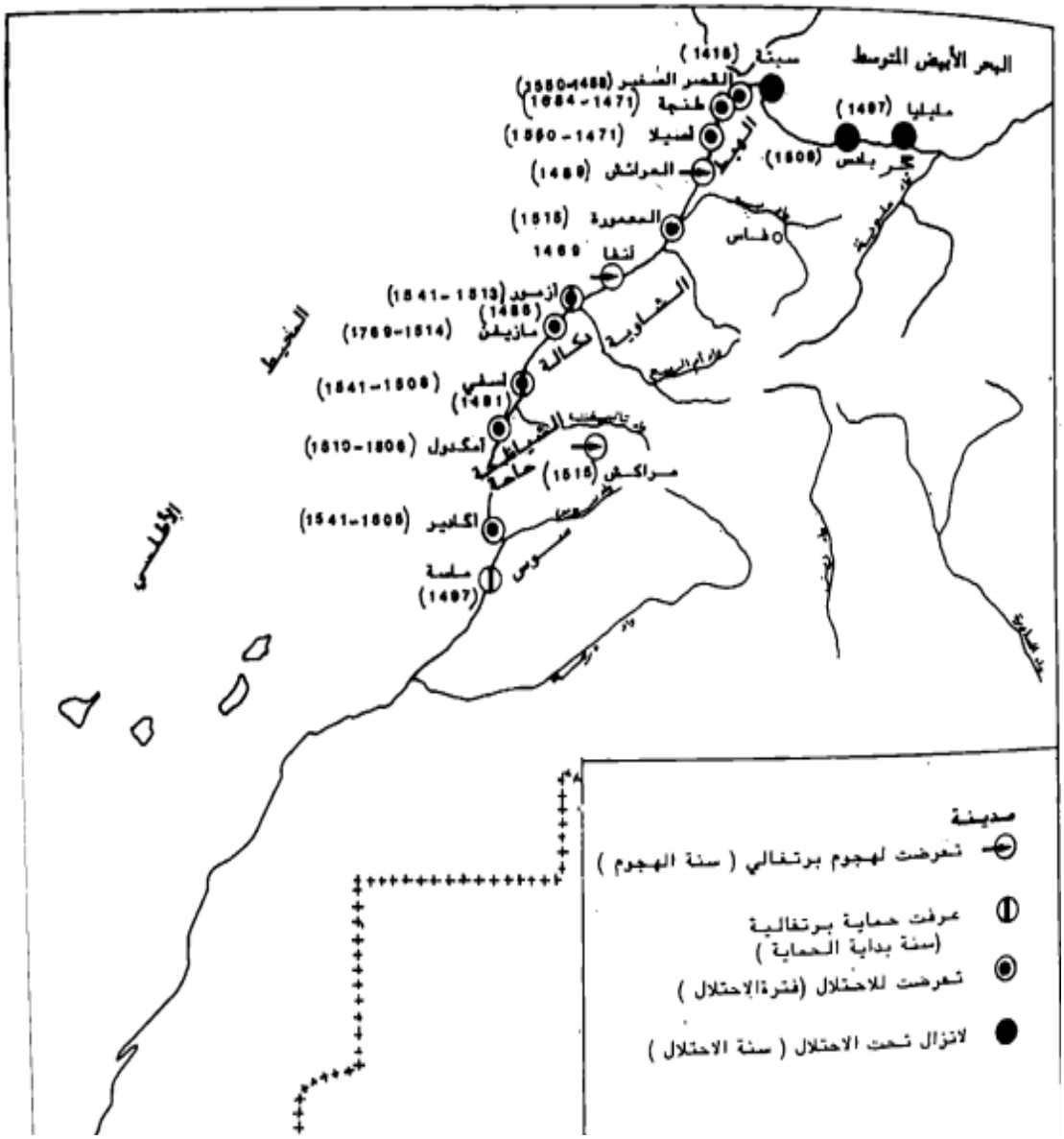

[1] أحمد بوشرب: **المغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، 1996م، ص23.

الملحق رقم3:

رسالة من بعض عملاء ملك البرتغال من المغاربة مؤرخة ب 8 رمضان 918هـ/ 8 جويلية 1512م[1].

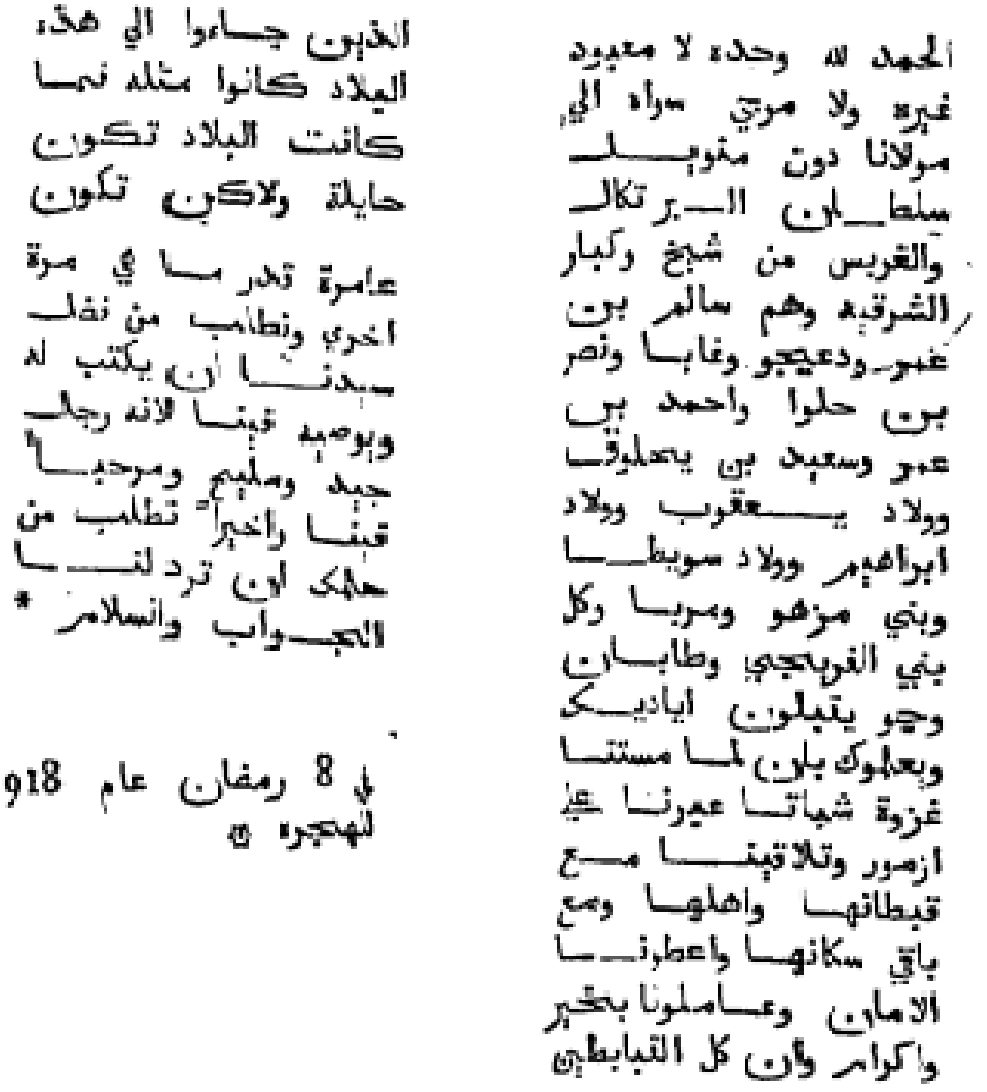

الحمد لله وحده لا معبود
غيره ولا مرجي سواه الي
مولانا دون منوبـــل
سلطـــان الـــبرتكال
والغربس من شيخ وكبار
الشرقيه وهم سالم بن
عمر ودعيجو وغابا ونصر
بن حلوا واحمد بن
عمر وسعيد بن يعلوقا
وولاد يـــعقوب وولاد
ابراهيم وولاد سويطـــا
وبني مزهو ومربـــا وكل
بني الغربجي وطابـــان
وجو يتبلون اياديـــك
ويعلوك بلن لما مستنا
غزوة شباتـــا عيونـــا عيد
ازمور وتلاقينـــا مـــع
قبطانهـــا واهلهـــا ومع
باقي سكانهـــا واعطونـــا
الامان وعـــاملونا بخير
واكرام وان كل القبابطين
الذين جـــاءوا الي هذه
البلاد كانوا مثله نحـــا
كانت البلاد تكون
حايلة ولاكن تكون
عامرة تدر مـــا في مرة
اخري ونطلب من نقل
سيدنـــا ان يكتب له
ويوصيه فينـــا لانه رجل
جيد وسليم ومرحبـــا
فينـــا واخبرا تطلب من
حلك ان ترد لنـــا
الجـــواب والسلام *

في 8 رمضان عام 918
للهجرة *

[1] فالح حنظل: **العرب والبرتغال في التاريخ 711م إلى 1720م** ، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات المتحدة العربية، 1997م، ص434.

الملحق رقم4:

رسالة من "عبد الرحمان بن حدو" قائد بعض الشرقية التابعة للبرتغاليين إلى الملك "إمانويل الأول" مؤرخة ب 6 ماي 1517م[1].

الحمد لله وحده الي
السلطان دون منويل
سلطان البرتكال
وكذالت والهند ادام الله
عزه ونصره من خديمك
المقر باحسانك الراغب
الي نظر وجهك والطالب
من الله دوام عافيتك
وطول عمرك الخديم عبد
الرحمن المعروف بابن
حدو المزطرادي يقبل
ايادي حضرتك وبعلمك
باني لما كنت في
بلادي كنت مقاد
المسلمين علي مدة ثلاثة
سنين وبعد هذا خرجت
منه بامرك ولخدمتك
وجيت تحت كلمتك
وعلامك اخذت ثلاثين دوار
بمالها وناسها
وجريتها لبين يديك
وطاعتك وفرحت بذالك

غاية الفرح وكتبت لك
لنعلمك بخاطرك ونبشرك
والمسلمين في هذا الوقت
ما جانا منك جواب
ولهذا السبب صارت لنا
غيفه وحصره كبيره ولا
سيما لما اتي اخونا
الفارس من غير جواب لان
ما ظهر منا نقص
بخدمتك ابدا واعلم
ان متي خرجت من
بلادي لخدمتك ماتوا في
الطريق الاكثر من نساي
من الجوع والعطش
ودخلت الي ازمور بالف
فارس بمالهم وخيلهم
وعبيدهم واحتملنا هذا
كله لاجل خدمتك وتراي
في هذا الوقت في ضيقة
عظيمة وناسي كذالك
وما يمنعهم عن
الخروج من البلاد غير
كتابك الشريف متي
يصل ليدي وانا
ياسيدي ما جيت
لبلادتك وحكمك الا حتي
تعينني وتكبرني والان
تراي صرت شمتت لكل
المسلمين واعلم ايضا ان
ما استوبح الا متي ياتيني
كتابك وما اي صبر
واحتمال علي الذي جرا

لنا وانت سلطان ذلك
البر وهذا ايضا وما
نحتاج لمن يفهمك علي
حفظه والسلام ❁

[1] فالح حنظل: المرجع السابق، ص433.

الملحق رقم5:

وضعية الجيش المغربي والبرتغالي في ميدان معركة وادي المخازن[1]

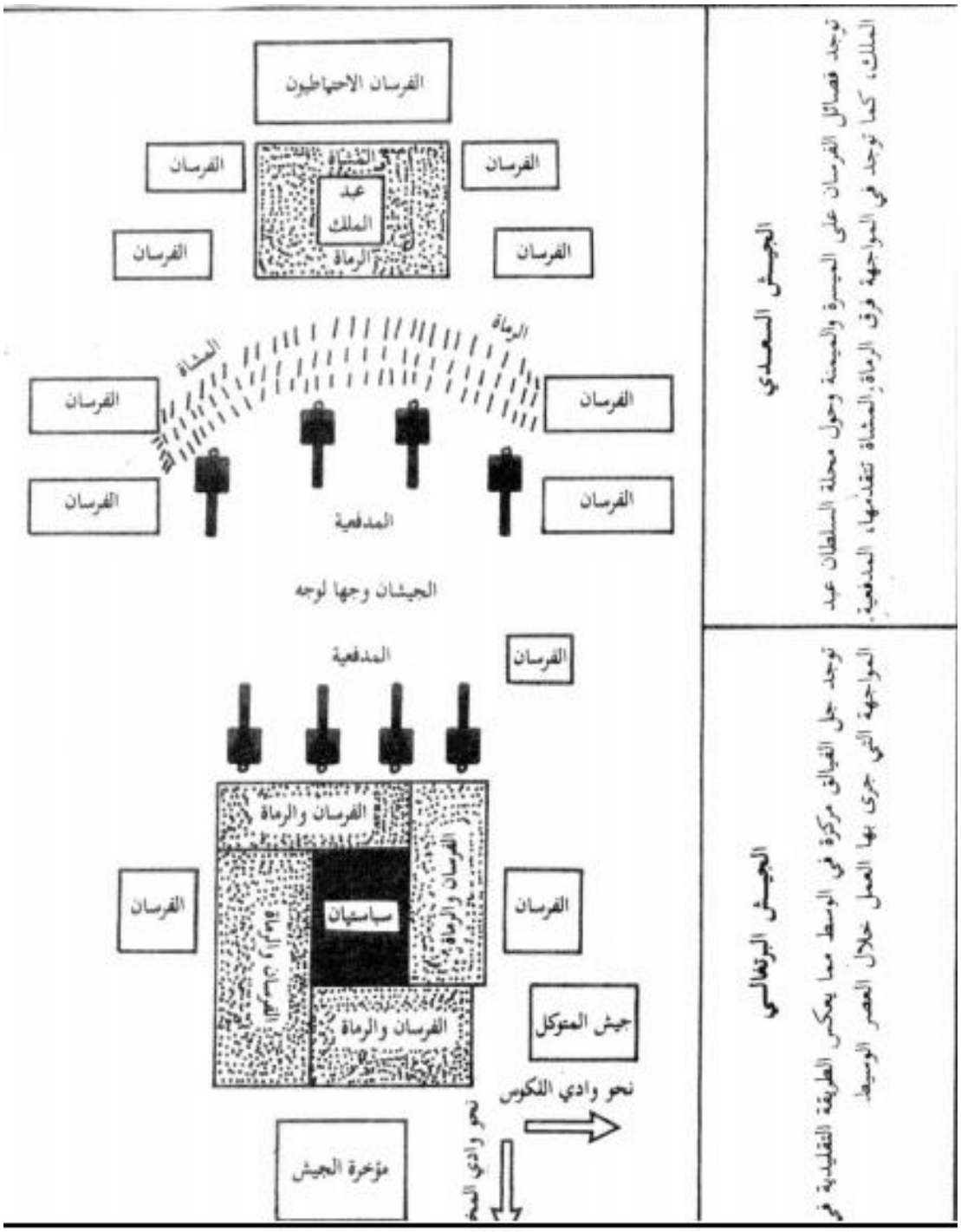

[1] بن قومار جلول: المرجع السابق،ص 147.

الملحق رقم6:

الرسالة التي أرسلها أهالي الجزائر إلى سليم الأول يعرضون فيها رغبتهم لضم الجزائر للدولة العثمانية سنة 1519م[1].

[1] خير الدين بربروس: **مذكرات خير الدين بربروس**، تع: محمد دراج، شركة أصالة للنشر والتوزيع، الجزائر،2010م، ص218.

الملحق رقم 7:

صورة تمثل المعاهدة الأخيرة التي أمليت على السلطان الحسن الحفصي من طرف شارلكان[1].

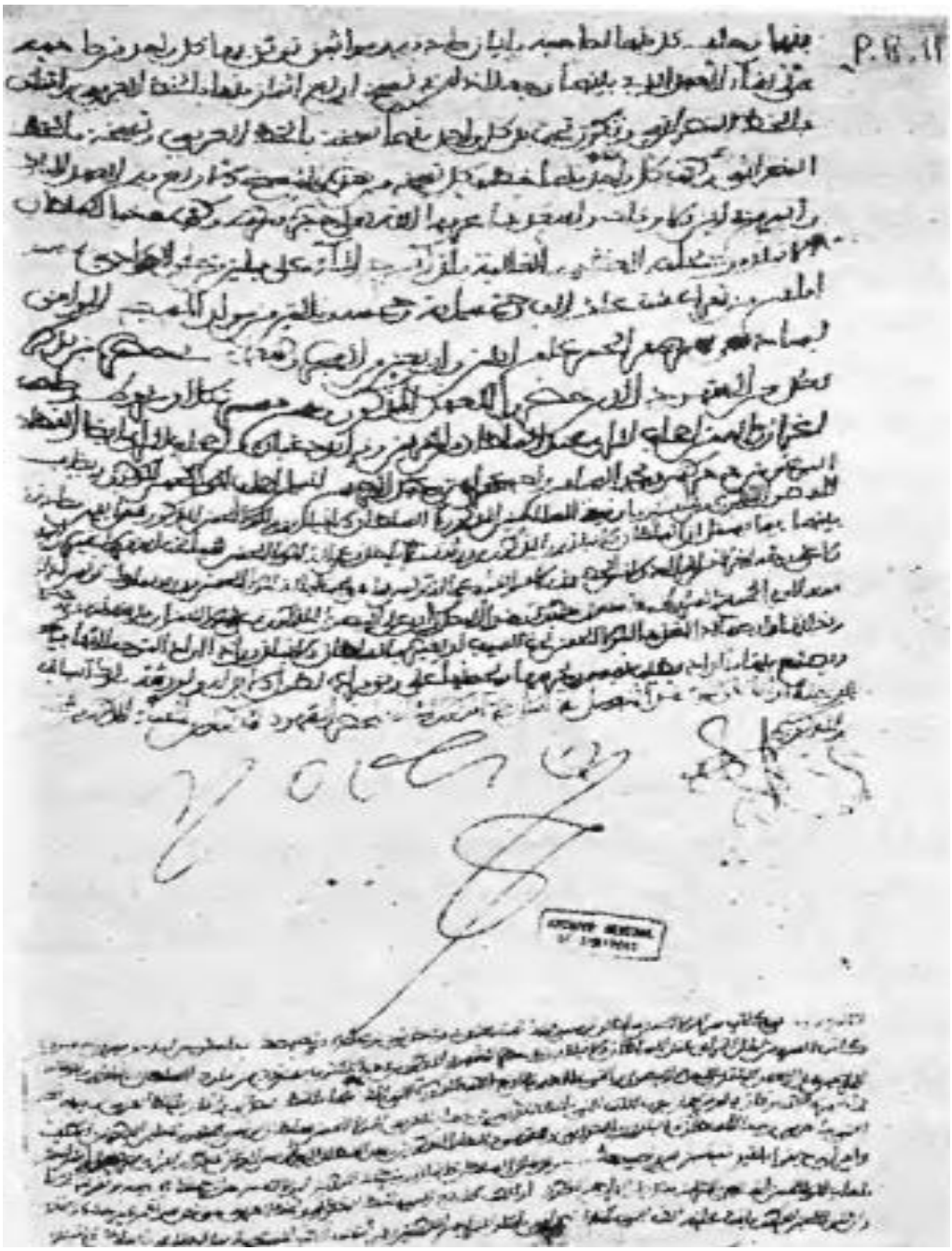

[1] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص235.

فهرس
الموضوعات

الإهداء	
الشكر والتقدير	
مقدمة	4 -1
الفصل الأول: الغزو الأيبيري في شمال إفريقيا أسبابة- نتائجه	26 -6
المبحث الأول: أسباب الغزو الأيبيري	6
الأسباب الدينية	6
الأسباب الإستراتيجية	8
الأسباب الاقتصادية	8
الأسباب السياسية	9
المبحث الثاني: مجريات الغزو الأيبيري	12
الغزو البرتغالي للمغرب الأقصى	12
الغزو الإسباني للجزائر	16
الغزو الإسباني لتونس	19
المبحث الثالث: نتائج الغزو الأيبيري	23
نتائج الغزو البرتغالي	23
نتائج الغزو الإسباني	24
الفصل الثاني: المتعاونون مع الغزو الأيبيري في المغرب الأقصى	49 -28
المبحث الأول: المتعاونون مع الغزو الأيبيري في إقليم دكالة	28
يحي بن تعفوفت	28
بعض القبائل الدكالية	34
اليهود	39
المبحث الثاني: محمد المتوكل (المسلوخ)	42
نزاع محمد المتوكل مع عميه على العرش	42
رسالة محمد المتوكل إلى العلماء المغاربة	45
معركة وادي المخازن	48

الفصل الثالث: المتعاونون مع الغزو الأيبيري في الجزائر وتونس	72 -51
المبحث الأول: المتعاونون مع الغزو الأيبيري في الجزائر	51
يهود وهران	51
بعض قبائل بني عامر	35
المبحث الثاني: شخصيات متعاونة مع الغزو الإسباني في الجزائر	60
سالم التومي	60
أبو حمو الثالث	63
المبحث الثالث: المتعاونون مع الغزو الإسباني في تونس	67
الحسن الحفصي	67
دخول خير الدين تونس 1534م	68
حملة شارلكان عل تونس 1535م	70
الخاتمة	74
الملاحق	77
قائمة المصادر والمراجع	85
فهرس الموضوعات	93

الملخص:

بعد سقوط الأندلس سنة 1492م اتجهت الأنظار الأيبيرية لشمال إفريقيا مستغلة بذلك التفكك والضعف السياسي للمنطقة، فعملت على غزوها مستعينة في ذلك ببعض الشخصيات لتوطيد أقدامها وللتوغل أكثر في البلاد، فقد كان من بين هذه الشخصيات يحي بن تعفوفت في المغرب الأقصى الذي سعى للتقرب إلى الغزو البرتغالي لنيل مراتب من السلطة في المغرب، وكذلك بعض القبائل الدكالية التي قدمت ولائها للسلطة البرتغالية ودخلت في خدمتها في غياب سلطة مركزية تحكم المنطقة، إضافة إلى محمد المتوكل (المسلوخ) الذي استعان بالملك البرتغالي ضد عمه عبد الملك.

أما بالنسبة للجزائر فقد كان للمتعاونون دور في دخول الغزو الإسباني، فقد كان لقبائل بني عامر الدور الأكبر في تسهيل عملية الغزو في الغرب الجزائري إضافة إلى سالم التومي وأبو حمو الثالث وذلك بفضل الخدمات المقدمة لهم كالجوسسة والتموين وغيرها من الخدمات الجلية، كما شهدت تونس ما شهدته جاراتها من تعاون مع الغزو الأيبيري، فقد استعان الحسن الحفصي بشارلكان لإعادته للعرش وعقد معاهدات معه تمس بتونس.وقد كانت نهاية هؤلاء المتعاونون مأساوية وذلك جزاء خيانتهم لأوطانهم.

Le résumé :

Après la chute de l'Andalousie en 1492, les yeux ibériques se tournèrent vers l'Afrique du Nord, exploitant la désintégration et la faiblesse politique de la région, cherchant à l'envahir à l'aide de quelques personnalités pour se consolider leurs pieds et pénétrer plus avant dans le pays, notamment "Yehia Ben Taafoufat" dans l'Extrême Maghreb qui essayait s'approcher de l'invasion portugaise. Pour gagner le pouvoir du Maroc. Ainsi que certaines des tribus ***« Dukalinnes*** » qui ont allégeance à l'autorité portugaise et sont entrées en service en l'absence d'une autorité centrale régissante de la région. Ainsi que ***Mohammed Mitauakil*** (al-Masloukh) qui a utilisé le roi portugais contre son oncle ***Abdel-Malik .***

En ce qui concerne l'Algérie, les collaborateurs ont joué un rôle dans l'invasion espagnole, les tribus « ***Bani Amer*** »avaient le rôle le plus important dans la facilitation de l'invasion dans l'ouest algérien. De plus, Salim al-Toumi et Abu Hamo III, grâce aux services fournis.

La Tunisie était également le témoin de la coopération de ses voisins avec l'invasion ibérique

Al-hacen al-hafsia utilisé « ***Charlecan*** » pour le ramener sur le trône et conclus avec lui et d'autres traites avec la Tunisie. La finalité de ses collaborateurs a été tragique, punition de leurs trahison de leurs patries.